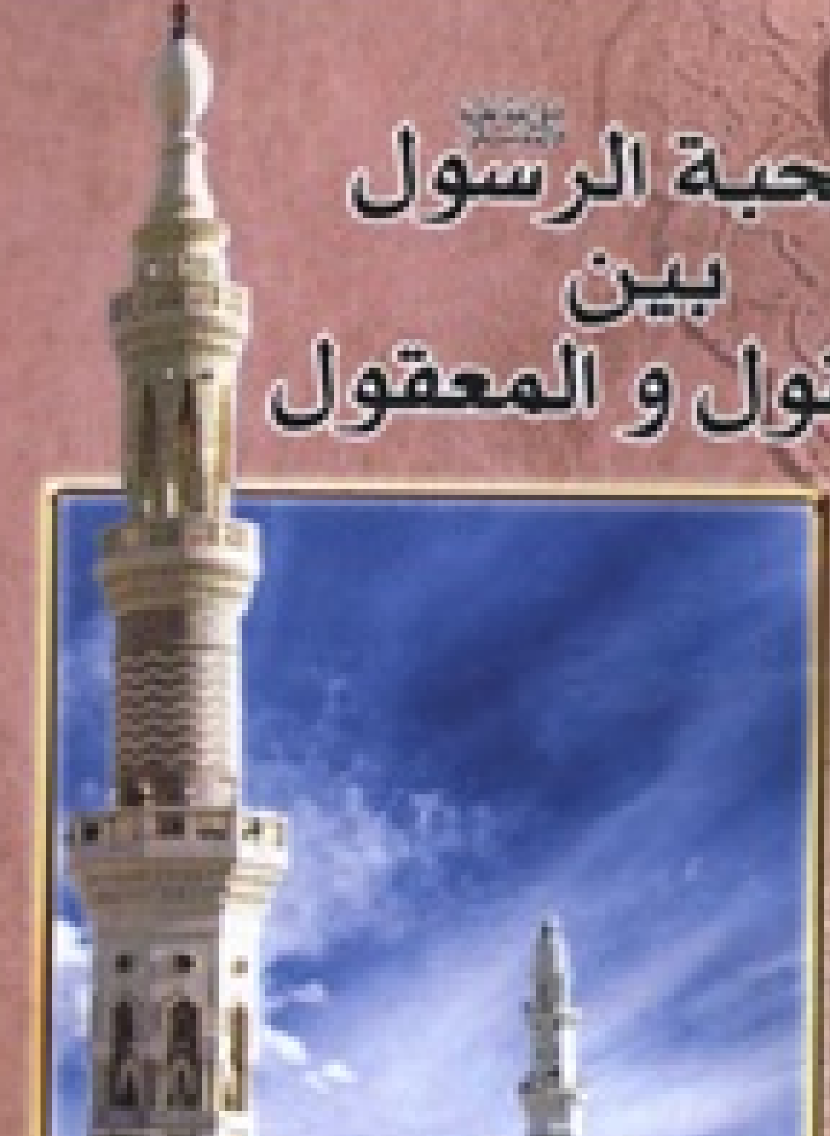
# صحبة الرسول
# بين
# المنقول و المعقول



محمد على النجفي

بسم الله الرحمن الرحیم

# صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول


کاتب:

محمدعلی نجفی



نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

# الفهرس

# صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول

## اشارهٔ

سرشناسه : نجفی، محمدعلی

عنوان و نام پدیدآور : صحبه الرسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بین المنقول و المعقول/ بقلم محمدعلی النجفی.

مشخصات نشر : تهران: دارالمشعر، ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهری : ۱۴۴ص.

شابک : ۶۰۰۰ریال:۹۶۴-۷۶۳۵-۵۱-۶

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیرنویس

عنوان دیگر : صحبه رسول الله(ص). شرح

موضوع : درویش، صالح، .Darwish, Salih ibn Abdallahصحبه رسول الله(ص) -- نقد و تفسیر

موضوع : صحابه.

موضوع : صحابه -- فضایل.

موضوع : صحابه در قرآن.

موضوع : غزوات.

شناسه افزوده : درویش، صالح

شناسه افزوده : Darwish, Salih ibn Abdallah

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/۷/د۴ص۳۰۲۱۷ ۱۳۸۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۷۸

شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۲۰۵۳

ص:۱

## اشارهٔ

ص:۲

ص:۳

ص:۴۰

ص: ۵

## المقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّهرب العالمين؛ والصلاة على أشرف المرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين؛ وعلى أصحابهم الأوفياء وأولياءهم الأبرار.

أمّا بعد: فقد وقفتُ على رسالةٍ صغيرةٍ من تأليف الشيخ صالح بن عبد اللّه الدرويش، القاضى فى المحكمة الكبرى بالقطيف، وكان موضوعها «صحبة رسول اللّه صلى الله عليه و آله» ولم يكن العزم على كتابة ردّ عليها، وتوضيح لما ورد فيها من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة، وما فيها من تجاوزات نقليّة وعقليّة، ولكن لسوء الوضع الراهن الذى نعيشه من حيث الهجوم المتصاعد على الإسلام، وبشتّى وسائل الإعلام المتيسّرة للمهاجمين، سعياً فى إطفاء نور اللّه المتمثّل فى نور الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام وجدتُ من اللازم علىَّ أن أكتبَ ما يوجب كشف مغالطاته فى حقّ الصحابة، وردّ مزاعمه فى حبّهم والدفاع عنهم، فكانت هذه الرسالة على العجالة، كتبتُها راجياً أن تسدّ رَأْبَ ما صدعه هذا

ص: ۶

الكاتب وأمثاله. جعلها اللّه فى صحيفة أعمالى يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

## حقيقة الصحبة وتعريف الصحابى:

اختلف فى المراد بالصحبة للنبىّ صلى الله عليه و آله على أقوال كثيرة، ولنذكر المهمّ دون إشباعٍ له؛ فهو موضوع طويل جدّاً، ولكن توصّلًا إلى المراد ممّا يفى بالنتيجة المطلوبة من البحث؛ نقول:

## الصحبة فى اللغة:

قال فى القاموس (۱) ۱:.. صَحِبَه كسَمِعَه صَحَابَة وصُحْبَةً: عاشره، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبة وصَحْب، واستصحبه دعاه للصحبة ولازمه.

وفى المعجم الوسيط (۲) ۲: صحبه أى رافقه، والصاحب المرافق، واستصحبه جعله صاحباً له، ولزمه، ودعاه إلى الصحبة.

## الصحبة فى الاصطلاح:

لم يزد بعضٌ ممَّن عرَّف الصحبة على المعنى اللغوى، فقال بأنَّ الصحبة فى الاصطلاح هى نفسها ما كانت عليه عند اللغويين.

---

۱- القاموس المحيط للفيروز آبادى: ۱/ ۹۱

۲- المعجم الوسيط، لمجموعة من الاختصاصيين: ۱/ ۵۰۷

ص: ۷

وبعض قال باختلافهما، وهؤلاء بین مضیقٍ لدائرة الصحبة، وبین موسِّع لها.

والشاهد علی ذلک ما ذکره ابن الأثیر فی جامع الأصول (۱) ۳ قال: ثمَّ الصحبة من حیث الوضع تنطبق علی من صحب النبی صلی الله علیه و آله ولو ساعةً، ولکنَّ العرف یخصِّص الاسم بمن کثرت صحبته، ولاحدَّ لتلک الکثرة بتقدیر، بل بتقریب (۲) ۴.

وإلیک بعض آرائهم فی ذلک:

۱- تعریف السمعانی؛ کما حکاه ابن الصلاح فی مقدمته (۳) ۵: من طالت مجالسته مع النبی صلی الله علیه و آله علی طریق التبع والأخذ، بخلاف من وفد إلیه وانصرف بلا مصاحبة، قالوا: وذلک معنی الصحابی لغةً (۴) ۶.

وهو ضعیف؛ لکون طول المکث مؤثراً فی المنزلة والاختصاص به أکثر من غیره لیس إلّا، علاوةً علی مخالفته لمعناهااللغویّ.

۲- ما عن سعید بن المسیب: من أنَّه لم یکن یعدّ صحابیاً

---

۱- جامع الأصول لابن الأثیر الجزری: ۱/ ۷۴

۲- ذکر هذا المعنی عن جامع الأصول: الشیخ المامقانی؛ مقباس الهدایة: ۳/ ۲۹۷

۳- ابن الصلاح فی المقدمة: ص ۴۲۳

۴- حکاه عنه فی مقباس الهدایة: ۳/ ۲۹۶

ص: ۸

إلا من أقام مع رسول اللّه سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين (۱) ۷.

وسيأتى أنَّ هذا معنى استعمالىّ للصحبة وليس تعريفاً حدّيًّا له.

۳- الصحابى من طالت صحبته وروى عنه، حكى عن جماعة.

فيخرج به من قلَّت صحبته، وقلَّ مكثه مع النبى صلى الله عليه و آله.

۴- أنَّه من رآه بالغاً، وقد حكاه الواقدى.

فيخرج من كان قد رآه مميزاً قبل بلوغه، ومات النبى ولمَّا يبلغ.

۵- أنَّه من أدرك زمنه وهو مسلم، حكى عن ابن عبد البر وابن منده.

فيشمل هذا كلّ من أدرك زمنه وهو مسلمٌ وإنْ لم يره، وإنْ مات بعد ذلك على غير الإسلام.

۶- أنَّه من اختصَّ بالرسول واختصَّ به الرسول صلى الله عليه و آله وهذا أضيق التعاريف؛ لخروج الكثير من الصحابة بذلك عن كونهم صحابةً.

---

۱- حكاه عنه فى مقباس الهداية ۳/ ۲۹۷؛ وذكره فى الباعث الحثيث: ۲۰۳، شرح الألفيَّة للسخاوى: ۳/ ۹۴

ص: ۹

۷- أنَّه كلّ مسلم رأى النبىّ صلى الله عليه و آله.

وهذا هو المنقول عن البخارى (۱) ۸، فتشمل كلّ من رآه مسلماً ولو لم يصحبه، أو مات على غير الإسلام.

وهذا ممّا لايمكن الالتزام به قطعاً.

والواقع أنَّه لم يسلم أىٌّ من هذه التعاريف عن الإشكال، بعدم المانعيَّة فى بعض منها، أو عدم الجامعيَّة فى آخر، كلزوم خروج بعض من ثبتت لهم الصحبة عن كونهم من الصحابة كجرير بن عبد اللَّه البجلى.

ويلزم منها- أيضاً- خروج مثل ابن أمّ مكتوم، الذى كان كفيفاً، مع أنَّه مسلَّم الصحبة، أو من أسلم ثمَّ ارتدّ ومات على الردَّة، كعبداللَّه بن جحش وعبداللَّه ابن خطل.

كما يلزم على مثل تعريف سعيد بن المسيب و أصحاب الأصول خروج جويبر ابن عبد اللَّه؛ فإنَّه ممَّن لم يطل مكثه مع النبى صلى الله عليه و آله ولم يغزُ معه غزوةً قطّ، مع أنَّه معدود فى الصحابة.

وعلى كلّ حال، فقد مات النبىّ صلى الله عليه و آله عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً ممّن يعدُّ صحابياً، وعلى ما سلف من تعريفاتهم يلزم خروج الكثير ممَّن عدَّ صحابياً.

فلابدَّ إذن من اشتراط اللقاء كما فعل الشهيد، والسيّد على

---

۱- حكاه عنه جماعةٌ بل ادعى أنَّه المشهور والمعروف بين المحدثين، ومفاده الرؤية ولو للحظة، حتى لو لم يَرْوِ عنه صلى الله عليه و آله شيئاً

ص: ۱۰

خان صاحب الدرجات الرفیعة، فقد عرَّف الصحابیّ بأنَّه: من لقی النبیّ صلی الله علیه و آله مؤمناً به، ومات علی الإسلام، ولو تخلّلت ردّته بینهما (۱) ۹.

## الصحبة فی الاستعمال:

لعلّ الکثیر من التعاریف التی مرَّت علینا هو فی واقعه توضیح لما استعمل من المفهوم عند الصحابة أنفسهم، إما بتضییق وإما بتوسعة له، لا أنَّه تحدید منطقی لمفهومها.

ومن نماذج استعمال الصحبة فی معنی أضیق دائرةً: ما ذهب إلیه أنس بن مالک من أنَّ رؤیة النبیّ صلی الله علیه و آله غیر کافیةٍ فی اعتبار الرجل صحابیّاً، فقد سئل: هل بقی من الصحابة غیرک؟ فقال: بقی أناسٌ من الأعراب، أمَّا الصحبة فلا (۲) ۱۰.

کمامرَّ نقل‌اشتراط سعید بن المسیب لکی یکون الرجل صحابیاً أنْ یقیم مع رسول‌اللَّه سنةً أو سنتین أو أن یغزو معه غزوةً أو غزوتین (۳) ۱۱.

ولکنَّ السمعانیّ ألغی اعتبار زمنٍ محدّدٍ لمعنی الصحبة أکثر

---

۱- الدرجات الرفیعة للسید علی خان المدنی: ص ۹

۲- مقدمة ابن الصلاح: ص ۱۱۸- ۱۱۹

۳- المصدر السابق

ص: ۱۱

ممَّن سبق فقال: أصحاب الحدیث یطلقون اسم الصحبة علی کلِّ من صحب النبیّ شهراً أو یوماً أو ساعةً أو رآه.

ولکنَّ أحمد بن حنبل ضیَّق ذلک المعنی فقال: أصحاب رسول‌اللَّه کلّ من صحبه وروی عن النبیّ ولو حدیثاً أو کلمة (۱) ۱۲.

فإنَّ بین هذا التعریف، وما ذکره السمعانی، عموماً مطلقاً، والوجه اشتراط أحمد بن حنبل الروایة، وهی فرع الرؤیة طبعاً.

ولکنَّ الغزالی قال: لاینطبق اسم الصحبة إلّاعلی من صحبه... إلی أن قال: ولکنَّ العرف یخصّصه بمن طالت صحبته.

وقال ابن حجر العسقلانیّ- بعد أن ناقش التعریفات السابقة-: أصحّ ما وقفتُ علیه فی تعریف الصحابیّ أنَّه من لقی النبیّ مؤمناً به، ومات علی الإسلام (۲) ۱۳.

و أمَّا ما اختاره هذا الکاتب الذی نحن بصدد المناقشة لما کتبه؛ فالصحابی عنده: من آمن بالنبی صلّی اللَّه علیه (وآله) وسلّم، وصحبه ولو لفترةٍ من الزمن ومات علی ذلک، وأمَّا طول الصحبة فهو یؤثّر فی المنزلة لیس إلّا (۳) ۱۴.

وهذا قریبٌ جدّاً من تعریف ابن حجر العسقلانیّ فی اعتبار

---

۱- جامع الأصول لابن الأثیر: ۱/ ۱۳

۲- مقدمة کتاب نقعة الصدیان فیمن فی صحبتهم نظر؛ للصاغانی، عن کتاب الإصابة: ۱/ ۱۰

۳- صحبة رسول اللَّه (ص): ص ۵

ص: ۱۲

الإیمان بالنبی صلی الله علیه و آله والموت علی ذلک.

وأمّا ما تُعْرَفُ به صحبة الصحابیّ ومایثبت له تلک الصفة، فهی: الإجماع، أو التواتر، أو الشهرة.

ولا بأس بالتعلیق علی ما عرَّف به هذا الکاتب للصحابیّ، فنقول:

قد اشتمل تعریفه للصحابیّ علی أمور:

الإیمان بالنبیّ، والصحبة له، والموت علی ذلک، وطول الصحبة مؤثّر فی المنزلة.

فأمَّا الإیمان به صلی الله علیه و آله:

فهو شرطٌ مهمّ وأساسٌ فی الصحابیّ، ولکن لابدَّ من إدامة هذا الإیمان، ولعلّ الکاتب التفتَ إلی هذا فقال بعد ذلک: ومات علی ذلک.

وأمَّاالصحبة له:

فهی جزء الموضوع، لتحقّق معنی الصحابیّ لغةً فی من یرافقه صلی الله علیه و آله بل تمام الموضوع فی من یصحّ له ادعاء ذلک.

وأمَّا الموت علی ذلک:

فإنْ کان یقصد الموت علی الإیمان بالنبی صلی الله علیه و آله فهو المطلوب لنا أیضاً، وهو تامّ، وإنْ کان مقصوده الموت علی الصحبة فهو ممّا لادلیل علیه فی الصحابی، بل الکثیر منهم قد هاجر ورجع إلی وطنه، أو أرسله النبی صلی الله علیه و آله إلی بلد ولم یرجع عنه، فهل یخرج عن

ص: ۱۳

کونه صحابیاً؟ کلّا وأَلْفُ کلّا.

بقی أمرٌ:

وهو أنَّ تخلّل الردّة بین الإیمان والموت، هل یکون مخلًا بالصحبة أملا؟

ظاهر الجمهور عـدم ذلک، فلو آمن بالنبیّ، ثمَّ ارتدَّ، ثمَّ رجع وحسن إسـلامه وإیمانه عُدَّ صـحابیّاً، ولم یرتفع عنه معنی الصـحبة؛ علی تردّدٍ فی هذا لمعارضته لبعض الآیات والروایات أوّلًا، ومن حیث صدق الصحبة ثانیاً.

نعم، لو قیل بأنَّه لم ینتفِ معنی الصحبة عنه حتی یحتاج إلی البحث فی صدقه أمکن ذلک.

وأمَّا بالنسـبة إلی الروایة عنه صلی الله علیه و آله: فلم یشترطه هذا الکاتب- وهو الحقّ- فإنَّ الروایة عن النبیّ لیست فصلًا مقوِّماً لمفهوم الصحبة حتی یدَّعی عدم تحققه بدون هذا الفصل، بل یمکن عدّ الرجل صحابیاً وإن عدَّ فیمن لم یروِ عنه صلی الله علیه و آله.

والأـمر الأـخیر المتبقی حول التعریف هو اشتراط الاختیار فی ذلک؛ فلو کان مضـطراً أو مکرهاً علی الإیمان، لم یتحقّق منه أهمّ شـرط فی الصحبة، وإن تحقّقت صحبته للنبیّ صلی الله علیه و آله بمعناها اللغوی أو الاصطلاحی علی بعض التعریفات السابقة.

وکذا یخرج عن تعریفه عند من یشترط فی التعریف الإیمان عن معرفة بشخص النبیّ، فمن آمن به وصحبه دون معرفة له علی

ص: ۱۴

أنَّه نبى اللَّه محمّد صلى الله عليه و آله الذى أرسله اللَّه للخلق كافَّة، فهو ليس بصحابىّ، على هذا.

وأمَّا عدم اشتراط الرؤية من قبل الكاتب:

فهو إمَّا لالتفاته لدخول ذلك فى لفظ الصحبة، وإمَّا لإهماله لهذا الشرط.

ولكن لا يخفى أنَّ الاكتفاء فى تحقّق الصحبة بكلّ من آمن بالنبىّ، وإن لم يره- أى مع عدم اشتراط الرؤية- يوسِّع دائرة الصحبة لمثل من آمن به ولو فى بلد آخر، فاشتراط رؤية النبىّ أمرٌ مهمٌّ فى ثبوت الاتّصاف بالصحبة، وإلّا فمن آمن به ولم يره، أقوامٌ كثيرون يعدّون بالآلاف، إمَّا لعدم قصدهم لرؤيته، وإمَّا لتعذر ذلك عليهم، وإمَّا لتوجّههم لاشتراط رؤيته، ولكنَّهم لم يُوفَّقُوا لذلك، كما نقل عن أبى ذؤيب الهذلى حيث رأى النبىّ بعد موته وقبل دفنه (۱) ۱۵ فلم يعدّ من الصحابة، وإمَا لعدم كونهم من أهل عصره أصلًا، كالتابعين ومن تلاهم، فكلّ من جاء بعد موت النبى صلى الله عليه و آله ممَّن آمن به ينطبق عليه هذا المعنى، مع عدم صدق الصحبة.

ثمَّ إنَّ اشتراط الإيمان مهمٌّ باعتبار آخر وهو: أنَّ ذلك يُخرج من دخل فى الدين خوفاً من السيف، أو من دخل فيه رغبةً فى المال أو الجاه، وليس إيماناً بالدين، ولعلّ فى بعض الروايات

---

۱- الدرجات الرفيعة: ص ۶

ص: ۱۵

المشيرة إلى أسباب الهجرة توضيحاً لهذا المعنى، كقوله: «فمن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها، أو إلى امرأة يحبّها، فهجرته إلى ما هاجر إليه..» (۱) ۱۶ فهذه العبارة من الرسول صلى الله عليه و آله وإن كانت فى مقام بيان الهجرة المطلوبة وهى الهجرة إلى اللَّه فقط، لكنَّها تبيّن لنا- من منظور آخر مطلوبيَّة الإيمان بالدين من أوّل عمره إلى آخره، ولذا فيمكن التشكيك فى صحبة مَن آمن بالنبيّ مدَّة حياته وانقلب بعد موته صلى الله عليه و آله وأظهر ما كان مُخفياً له من أمارات النفاق والجحود بالدين وبأوامره ونواهيه.

والأمر المهمّ الذى ندّعيه- كما سيأتى مع أدلته- هو أنَّ الصحبة تمثّلت فى الصحابة بصورتين وفى فئتين منهم:

۱- صورة تحكى واقع أولئك الصحابة وهى أنَّهم أطاعوا النبى فى كلّ شىء وسلَّموا له فى أوامره ونواهيه، فهؤلاء هم الذين وردت فيهم الآيات المادحة والروايات المعرِّفة لهم بصفات مخصوصة (۲) ۱۷ والمبيّنة لمقاماتهم عنداللَّه عزَّوجلَّ.

۲- صورة تحكى واقعاً مزيَّفاً، وملبّساً بقناع يخفى وراءه الكثير من الحوادث التى صدرت منهم بعد وفاته صلى الله عليه و آله والتى أخبر

---

۱- صحيح البخارى: ۱/ ۳، ۳۰، ۲/ ۸۹۴، ۳/ ۱۴۱۶، ۶/ ۲۴۶۱ وغيره من المصادر الحديثيَّة

۲- ففى تعبير القرآن دقَّة بالغةٌ حينما عبَّر ب والذين معه ولم يقل صحبوه أو من صحبه... فتأمل!

ص: ۱۶

بهـا النبىّ صـلى الله عليه و آله وحـذّر من الوقوع فيهـا، بـل حـذّر القرآن منها فى بعض آياته، قال تعالى: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً (۱) ۱۸،

وقال تعالى: وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه (۲) ۱۹ وقال صلى الله عليه و آله: «لا ترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (۳) ۲۰.

وعليـك بـالتتبع لروايـات إخبـارات النبىّ صـلى الله عليه و آله بالمغيّبات، وبآخر الزمان، وسـتجد الكثير ممّا حـدّثناك عنه موجوداً فى طيّات تلـك الصـفحات، والـتى لم يرغب هـذا الكـاتب أن يكشف السـتار عنهـا خوفـاً من ظهور مـا لاـيمكنه الجواب عنه، فيقع فى ما لاتحمد عقباه.

وأهمّ أمرٍ نمنع من تحقّقه كلازم للصحبة- وهو مدّعى الكاتب- أن تكون الصحبة بنفسها عاصمةً لمن وُصِفَ بها.

وسوف نسـرد للقارىء المحترم لاحقاً مجموعة من أسماء الصحابة ممَّن لم يحسن الصحبة فى حياة النبىّ صلى الله عليه و آله فضلًا عمَّا صدر

---

۱- آل عمران: ۱۴۴

۲- الفتح: ۱۰

۳- صحيح مسلم: ۱/ ۸۲ رقم ۶۵- ۶۶، صحيح البخارى: ۱/ ۵۶، ۲/ ۶۱۹، ۴/ ۱۵۹۸، مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمى: ۶/ ۲۸۴ وقال: رواه أحمد، رجاله رجال الصحيح

ص: ۱۷

منهم بعد وفاته (۱) ۲۱.

وعلى كلّ حال، فما ذكره من معنى للصحبة لا يمكن الالتزام به على إطلاقه، بل حتّى الكاتب نفسه لو التفتَ وتأمّل فى ما عرَّف به الصحابىّ، لتوجَّه لما يلزم عليه من ذلك فتخلّى عنه.

فالصحابىّ- عندنا-: من رأى النبىّ صلى الله عليه و آله وآمن به وصدَّقه فى كلّ ما جاء به، وسلَّم بكلّ أوامره ونواهيه قلباً واعتقاداً وعملًا مدَّة حياته ومات على ذلك.

ومن أهمّ أوامره، والذى ما فتىء يكرّره حال حياته، هو التمسّك بولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين علىّ بن أبى‌طالب عليه السلام.

كما أنَّ من أهمّ نواهيه منعه عن مخالفة أمير المؤمنين، و الانحراف عن بيعته وجادَّته، فإنَّه عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه، كما نطقت بذلك النصوص النبويَّة المستفيضة إن لم تكن متواترة (۲) ۲۲.

---

۱- وللتوسع فى هذا البحث: ارجع لكتاب الدرجات الرفيعة للسيد على خان المدنى، وكتاب النص والاجتهاد للسيد شرف الدين، وكتاب فى رحاب العقيدة للسيد محمد سعيد الحكيم، وغيرها من الكتب المبسوطة فى هذا المجال

۲- سنن الترمذى: ۵/ ۲۹۷ حديث ۳۷۹۸، مجمع الزوائد: ۷/ ۲۳۵، المستدرك: ۳/ ۱۱۹، ۱۲۴، تاريخ دمشق لابن عساكر: ۳/ ۱۱۹ حديث ۱۱۶۲، كنز العمّال للمتقى الهندى: ۱۱/ ۶۰۳ حديث ۳۲۹۱۲، تاريخ بغداد: ۱۴/ ۳۲۱، فرائد السمطين: ۱/ ۱۷۶- ۱۷۷، وغيرها من المصادر

ص: ۱۸

هذا کلُّه من جهة أصل معنی الصحبة لغة واصطلاحاً.

وأمَّا من جهة أثر الصحبة؛ فنحن الشیعة الإمامیَّة نعتقد بأنَّ ذات الصحبة للنبیّ صلی الله علیه و آله لیست موجبةً لإثبات صفة مدحٍ لم تکن متحقّقةً فی الشخص بدونها، وکذلک الصحبة لاتوجب نفی ما أُلصِقَ بالشخص ممَّا دلَّت الروایات علیه (۱) ۲۳.

وهذا هو القول النصَفُ الذی یأخذ الحقَّ ممَّن ظلمه، حیث نُسِبَت الصحبة لمن لم تتحقّق فیه، حیث قد وُجِدَ الکثیرُ ممَّن ادعی له المصداقیَّة للصحبة، ولم یکن کذلک، أو کان منهم ثمَّ بَانَ عنهم بأنْ أساء الصحبة ولم یحترم حقَّ العِشْرَة مع النبی صلی الله علیه و آله فی حیاته أو بعد مماته صلی الله علیه و آله.

إذ أنَّ ممَّن ادّعیت له الصحبة من ثبت ارتداده عن الدین بعد أن تَدَیَّنَ به، وهم کثر، ولیس ذلک ممَّا یدعو للعجب، إذْ أنَّ من بین الصحابة- علی ما عرَّفوا به الصحابیّ الذین یعدّون بالآلاف- من لیس مصوناً عن السُنَن التاریخیَّة أو الاجتماعیَّة، أو معصوماً عن الآثام النفسیَّة للإنسان ککائن بشریّ قد تغلب علیه النفس الأمَّارة بالسوء، ویغلب علیه هواه، وحبُّ الجاهَ والسلطانَ لأن یرتکب ما یخالف أوامر الرسول صلی الله علیه و آله ونواهیه، والشواهد علی

---

۱- ولا شکَّ أنَّ الکثیر من الأصولیین- من علماء العامَّة- یرون هذا الرأی فی قول الصحابی، وإن کان هناک شرذمة منهم مثل ابن حزم وابن تیمیَّة یرون أنَّ کل الصحابة علی صواب، وأنَّ قولهم حجَّة مطلقاً

ص: ۱۹

ذلک کثیرة من الصحاح فضلًا عن کتب التاریخ والسیرة.

وبعد هذه المقدمة ندخل فی البحث ضمن نقاط:

النقطة الأولی: بعد أن استفتح الکاتب موضوعه ببضع آیات من الکتاب العزیز ذکر أنَّ الآیات صریحةٌ فی التلازم بین الرسول الکریم وأصحابه، من حیث تبیینها لوظیفة الرسول بین صحبه، وهو قد قام بها أفضل قیام، وعلَّمهم وربَّاهم أفضل تربیة (۱) ۲۴ فلا شکَّ وأنَّ المتربّین تحت یده، والمتعلّمین بتعالیمه سیکونون أفضل الناس بعده صلی الله علیه و آله.

ولنقرأ معاً هذه الآیات، لنری هل أنَّ فی شیءٍ منها إشعاراً، فضلًا عن التوصیف، فضلًا عن الدلالة علی ما یدعیه هذا الکاتب، من تلازمٍ أم لا؟

قال تعالی: رَبَّنَا وَابعَثْ فِیهِم رَسُولًا مِنْهُم یَتْلُو عَلَیْهِم آیَاتِکَ وَیُعَلِّمُهُم الکِتَابَ وَالحِکْمَةَ وَیُزَکِّیهِم إِنَّکَ أَنْتَ العَزِیزُ الحَکِیم (۲) ۲۵.

وقال تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیِینَ رَسُولًا مِنْهُم یَتْلُو عَلَیْهِم آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِم وَیُعَلِّمُهُم الکِتَابَ وَالحِکْمَةَ وَإِنْ کَانُوا مِن قَبْلُ لَفِی ضَلَالٍ مُبِین (۳) ۲۶.

---

۱- صحبة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ص ۵- ۸

۲- البقرة: ۱۲۹

۳- الجمعة: ۲

ص: ۲۰

فما ترشد إليه هذه الآياتُ هو أنَّ اللَّه بعث النبی صلی الله علیه و آله لتعليم الناس ولتزكيتهم وتربيتهم، فهو بيانٌ للغاية من البعثة، ولا ـيختصّ ذلك بخصوص الصحابة، فليس فيه ما ادّعاه الكاتب من التلازم بين الرسول كمعلِّم والصحابة كمتعلّمين، بتوسط تحقّق تلك الغاية فيهم، بل فيها دلالةٌ على عكس مدّعاه ومطلوبه، وهو أنَّهم قبل مجیء النبیّ صلی الله علیه و آله وقبل تعليمهم كانوا فی ظلمات الجهل والضلال، ولكن بعد أن علَّمهم النبی صلی الله علیه و آله ما ينبغی لهم العلم به، وما ينبغی لهم عمله؛ هل اهتموا جميعاً لِمَا أمر به صلی الله علیه و آله؟ وهل اتّبعوه؟

وهل خرجوا من الضلال إلى الهدی بأجمعهم؟.

هذا ما لاتتحدّث عنه تلك الآيات، و من كان له مسكة من عقلٍ يتوجّه إلى عدم الملازمة بين أن يكون المعلّم كاملًا، وبين أن يكون المتعلّمون استفادوا مما علَّمهم، والوجدان قائمٌ على ذلك.

وإلّا فلو تمَّت تلك الملازمة لحكمنا بتزكية كلِّ الأمم والشعوب التی سبقت ملَّتنا، إذ أنَّ الأنبياء- قبل نبيِّنا صلی الله علیه و آله- قد أرسلوا إلى أقوامهم ليعلَّموهم وليقوموا بتزكيتهم.

ولكنَّ هذا اللازم واضح البطلان كما لا يخفى.

وعلى هذا، فلا ربطَ بين ثبوت كلّ تلك الصفات للنبی صلی الله علیه و آله

ص: ۲۱

وبين عـدم ثبوتها لمن كان معه من الناس؛ ممّن قـد يتوجّه لتعاليمه، وقـد لايتوجَّه لها، لعارض أو لمانع، ولو كان المانع هو عدم الرغبة فيهـا، فقـد ورد عـن بعضــهم اشـتغالهم بالصـفق فى الأـسواق، فقـد روى البخـارى عـن أبى هريرة: «إنَّ إخواننـا مـن المهـاجرين كـان يشغلهمالصـفق بالأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار كان يشـغلهم عملأموالهم» (۱) ۲۷. وفىأخرى: «كان يشـغلهم صفق بالأسواق» (۲) ۲۸ وفى ثالثة مثلها (۳) ۲۹ ورابعة كذلك (۴) ۳۰ وفى خامسة عن أحمد فى مسنده (۵) ۳۱ وفى سابعة «من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم فىالأسواق، منالأنصاركانت تشغلهم أرضوهم والقيام بها» (۶) ۳۲.

إذن، فإمّا أن ينكروا هذه الروايات، ويلزم منه أحد أمرين:

۱- أن يردّوا بعض ما اتّفق على صحّته، وهو ما وجد فى صحيح البخارى ممّا يرويه هذا الراوى، ولم يكن معلّقاً، وهذا يفتح الباب على مصراعيه للتشكيك والردّ لكثير من روايات البخارى.

۲- أن يمنعوا صدور مثل هذه الروايات عن أبى هريرة،

---

۱- صحيح البخارى: كتاب العلم، حديث ۱۱۵

۲- المصدر السابق، كتاب البيوع، حديث ۱۹۰۶

۳- المصدر السابق، كتاب المزارعة، حديث ۲۱۷۹

۴- صحيح البخارى، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، حديث ۶۸۰۷

۵- مسند أحمد، باقى سند المكثرين، حديث ۶۹۷۶

۶- المصدر السابق

ص: ۲۲

وهذا أيضاً يفتح الباب للتشكيك فى الكثير من مرويَّات هذا الرجل (۱) ۳۳.

فليس باختيار الكاتب أن يمنع أو أن يُثبت ما شاء له قلمه أو مِقَصُّ رقابته، وقد اتفق العلماء، وممَّن يعتمد على قوله منهم، على صحَّة كلّ ما رواه البخارى فى صحيحه، مما لم يُعَلِّقْهُ، ووجوب العمل به. فهو إلزام لهم بما لامفرَّ منه.

وإمَّا أن يعتقدوا بصدور هذه الروايات، ويتمُّ الحفاظ على مرويّات البخارى، إلّا أنَّها ستكون مبتلاة بهذا الإشكال، وهو انشغال الصحابة عن النبى صلى الله عليه و آله وعن تعاليمه، فيثبت مدَّعانامن

---

۱- وفى الواقع ما فتىء أرباب البحث والتحقيق من العامة والخاصة يوماً فيوماً يظهرون المزيد من غوامض حياة هذا الرجل، ولقد بيَّن بعضها قبل ثلاثين عاماً الشيخ محمود أبو رية فى كتابه شيخ المضيرة وسبقه السيد عبدالحسين شرف الدين، وتلاهما الكثير ممَّن تتبع أثر هذا الصحابى، وفى هذه الأيام وصلت بأيدينا رسالة لمؤلف مغربى وهو الدكتور مصطفى بو هندى، واسم الرسالة «أكثر أبوهريرة» شكَّك فيه ثبوت أصل صحبته للنبى بروايات من قِبَلِهِ نفسه، وأنَّه كان قد سافر إلى طور سيناء للقاء كعب الأحبار فتلا عليه أموراً من التوراة، وهذا يوجب التشكيك فيما يرويه عن النبى، خاصة، وأنَّه كان يهودياً، وكعب الأحبار لم تخرج اليهودية من قلبه كذلك، بشهادة الخليفة الثانى، ولعله أظهر الأسلام ليكيد له، بل ما تكشف عنه كلماته وآثاره، وكلمات أمير المؤمنين وأبى ذرّ وغيرهم من الصحابة حيث يصمونه بابن اليهودية وباليهودى، وفى هذا أكبر دليل وموجب للتشكيك فى مرويات هذا الرجل وصاحبه!! خاصة الروايات الإسرائيليَّة

ص: ۲۳

عدم توجّههم إلی تعالیم النبی صلی الله علیه و آله (۱) ۳۴.

وکـذا یلزم علیهم ما نـدّعیه فی المقام من عدم الملازمة بین ما بُعث لأجله النبی صـلی الله علیه و آله وما أدّاه من وظیفة، وبین التزامهم بتعالیمه صـلی الله علیه و آله فیثبت مـدَّعانا من عـدم التزام الکثیر منهم بتعالیمه، بل عدم مداومة حضورهم عنده للتعلّم والاسـتفادة من علمه صلی الله علیه و آله والأخذ عنه صلی الله علیه و آله.

ثمَّ ما الذی یقصده من قوله: «نصوص صریحة»؟

فأیّ صـراحة فیها؟ ولیس من حجَّة عنـد العقلاء إلّا النصوصـیَّة أو الظهور، والفرض أنَّها لیست نصَّاً فی المـدّعی، کما لایـدعیه هو، فإنَّ النصّ ما لایقبل التأویل، ولا ظهور- أیضاً- فإنَّ الظاهر منها ما ذکرناه آنفاً، وما عـداه یحتاج إلی قرینـة معیّنـة، أوصارفة عن غیره، وأنَّی له هذا!!؟ إن کان یتکلّم علی طریقة العرف فی محاوراتهم!.

النقطة الثانیة: لقد ادّعی أنَّ من کمال نعم اللَّه علی نبیَّه أن اختار له خیر الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة.... إلی آخر ما ذکر.

وهذا أمر مسلَّم فی الجملة ولکن.. لنا معه فی ذلک عدَّة مواقف:

---

۱- سیأتی فی ما بعد ما یشیر إلی هذا من فعل بعض الصحابة؛ بل جُلُّهم، وکفانا أن نتوجه لما یمکن وروده علیهم من النقص فی ما لو أسقطوا مرویات أبی هریرة فقط عن البخاری، فهی بما یساوی ۲۶٪ من کل روایاته

ص: ۲۴

الموقف الأول: لا شکَّ أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لما اصطفی نبیه لم یستشر أحداً فی ذلک وهذا معلوم لکل أحد، وحینما أرسله فإنَّما أرسله إلی الناس کافَّة، ولکنَّ التبلیغ والانذار کان أولًا لقومه، ثمَّ شیئاً فشیئاً تدرجت الدعوة حتی عمَّت الخافقین، ولم یکن قبول دعوته من قِبَل الناس شرطاً فی صحَّة تلک الدعوة، بحیث إنَّه لو لم یقبل أحدٌ منهم دعوته لزم بطلان نبوته، وهذا مسلم أیضاً، إذن فالنبی نبی ورسول من اللَّه عزَّ وجلَّ سواء قبلوا أم رفضوا، فهو نبی بالحق قد جاء من عند الحق شاؤا أم أبوا، اتبعوه أم خذلوه.

ثمَّ إنَّ دعوته لهم إنَّما کانت لرفع جهالتهم ودحض باطلهم وضلالهم، فهم الذین کانوا محتاجین لدعوته، وبمجیئه لهم تتم النعم علیهم وتکمل معارفهم، فهم أهل الحاجة للتکمیل بالتصدیق بنبوته (۱) ۳۵. ولکن، هل صدَّقوا أم کذَّبوا؟

هذا ما لا یفصح عنه الکاتب مخافة انکشاف بعض تلک الصفحات المظلمة من تاریخ مَنْ نسب أو ادعی لهم الصحبة، ومن والاهم لیس إلّا.

الموقف الثانی: ما یتعلق بدعواه أنَّهم خیر الأصحاب فَهْمَاً.

فهذا ما تکذّبه الروایات المتناثرة هنا وهناک فی صحاحهم

---

۱- فاْقرأ قوله تعالی الیوم أکملتُ لکم دینکم وأتممتُ علیکم نعمتی ورضیت لکم الإسلام دیناً فإنَّ خطاب إکمال الدین وإتمام النعمة متوجه للناس

ص: ۲۵

وغیرهـا، وهـاهو الخلیفـة الثـانی یقول: «نـدمتُ علی أمورٍ لم أسـأل عنها رسول اللّه قبل وفاته.. ومنها أنّه مات رسول اللّه ولم أسأله عن قوله تعالی: وفاکهةٍ وأبّا (۱) ۳۶ وکفی بهذا نفیاً للفهم الکامل عند هذا المؤلّف، وإلّا فالشواهد کثیرة.

وأمّا الرجولة؛ فهل یقصد أنّهم کانوا أصحاب کلمةٍ نافذةٍ؟

وهذا المعنی الکنائی المراد منها.

أم یقصد أنّهم کانوا أصحاب مواقف عظیمة فی الحقّ، فهذا لاینکره أحدٌ، لکنّه کان لبعضهم لامطلقاً.

وکذا الکلام فی صفة الشجاعة، وقد کان المبرّز فیها أمیر المؤمنین علیه السلام بل إنَّ أمر شجاعته ممّا ثبت بالتواتر المعنوی.

ولکنَّ غایة ما یثبت بالذی ساقه المؤلّف: أنَّ بعض صحابة الرسول کانوا أهل فهمٍ ورجولةٍ وشجاعةٍ؛

نقول له: ثمَّ ماذا؟ وهل یتصوّر منه أن یثبت به أنَّ کلّ صحابة النبی صلی الله علیه و آله وعددهم ینوف علی الآلاف، کانوا کذلک!!؟

إنَّ هذا لممّا یُضحک الثکلی!.

الموقف الثالث: ما رام إثبات مدّعاه من خلاله وهو قول النبی صلی الله علیه و آله: «الناس معادن فخیارهم فی الجاهلیَّة خیارهم فی

---

۱- سورة عبس، آیة ۳۱

ص: ۲۶

الإسلام، إذا فقهوا» (۱) ۳۷.

فبالإضافة للمناقشة فی سند هذه الروایة، فإنَّ المناقشة فی دلالتها واضحة، بل حتّی لو تمَّت دلالتها فغایة ما تثبته هو أنَّ کون الرجل من أهل الخیر فی الجاهلیَّة فهو کذلک فی الإسلام، بشرط التفقّه فی الدین، وهذا أجنبی عمَّا یروم المؤلف إثباته إطلاقاً.

و لاینقضی عجبی من هذا الکاتب، فإنَّ کلّ استدلالاته بهذه الصورة، فهو یتوهّم أو یتقصّد هذا النحو من الکلام، بأن یذکر الوصف المطلوب تحقّقه من الصحابة، ومن ثمَّ یدّعی ثبوته فیهم کلِّهم، وکأنَّه أمرٌ مسلَّمُ الثبوت، وممَّا لایقبل النقاش أو الإنکار.

أخی الکاتب- وأنت یا أخی القاریء- ثبِّت العرش ثمَّ انقش، فلو قال لک شخص: إنَّ فی الطریق مَن اسمه زید، فهل یُثبِت هذا أنَّ کلَّ مَن فی الطریق، اسمه زید!!؟

الموقف الرابع: إنَّ الإنسان العاقل یسیر بقدر ما یسیر به

---

۱- صحیح البخاری: ۶/ ۲۹۸ ومسلم برقم ۲۵۲۶ باب خیار الناس، إذ أنَّ آفة هذا الحدیث هو انتهاء جلِّ- بل کلِّ- طرقه لأبی هریرة، وفیه ما فیه، علاوة علی وجود حرملة بن یحیی الذی یروی عنه مسلم کثیراً وقد قال عنه أبو حاتم: یُکتَب حدیثه ولا یحتج به، وقال عنه ابن عدی سألت عنه عبداللَّه بن محمد الفرهاذانی؟ فقال: ضعیف، ولم یجوز أحمد بن صالح الروایة عنه، وأمَّا من جهة المتن ففی تتمته: «.. وخیر الناس فی هذا الأمر أکرههم له قبل أن یقع فیه...» ولعل فی هذا إرادة المدح والتقرب من قبل أبی هریرة إلی بعضهم ممَّن کان شدیداً علی الدین قبل تظاهره بالإسلام

ص: ٢٧

الدليل مرشداً لطريقه، فأنَّى يوجهه يختار، ولا ينبغی له أن يوجه هو الدليل ويُكيّفُه ويُطوِّعه كما يشاء، فإنَّ هذا هو الانحياز، وعدم الحياد العلمی بأن تجعل الدليل طوع هواك وطبق رؤاك، وهو أمر ممقوت من كل أحد، ولذا نقول: قد صحَّت الآيات بأنَّ الرسول جاء لتزكية المدعوِّين ولتعليمهم وتربيتهم، وقد فعل ما كُلِّف به وأدَّى ما حُمِّل، ولكنوردت روايات تاريخيَّة موثقة أوأحاديث مصححة ممَّن لاـ يمكن الطعن عليه فيها، وهی تثبت أنَّه قد صدر من بعض أولئك الصحابة ما يخالف تلك التربية التی أداها النبی صلی الله علیه و آله بل ما يخالف الدين كلًّا، والعقل السليم، فيلزمنا أحد أمرين:

إمَّا أن نقول- والعياذ باللَّه- إنَّ الرسول قد علَّمهم وربَّاهم علی ذلك الأمر المشين. وهذا هو الكفر بعينه، كما هو بعيد عن ساحة قدسه صلی الله علیه و آله.

وإمَّا أن نقول بأنَّ ما صدر منهم إنَّما هو من فعلهم الخاصّ بهم، والذی لم ينصَّ عليه النبی صلی الله علیه و آله بل لايرتضيه، وهو مخالف لما أراده صلی الله علیه و آله (١) ٣٨.

ولاـ شكَّ أن لازم القول الأوّل رمی النبی صلی الله علیه و آله بالنقص، ونسبة عدم حسن تبليغ الرسالة إليه! وهذا ينافی الآيات والروايات

---

١- ولذا فقد ذكروا فی بعض قضايا خالد بن الوليد قتله عامر بن الأضبط بعد إظهاره الإسلام والسلام، وغضب النبی لذلك وقال اللهم إنی أبرأُ إليك مما فعل خالد- قالها ثلاثاً- وسيأتی ذكر مصادرها

ص: ۲۸

المثبتهٔ لعصمته صلى الله عليه و آله وأنّه لم يقصّر فى التبليغ.

بينما لامانع من الالتزام بالقول الثانى، إذ ليس فيه نسبهٔ طعن لساحته صلى الله عليه و آله وليس فيه إلّاإثبات ما يمكن أن يصدر من أىّ فرد غير معصوم قابل لصدور الخطأ منه (۱) ۳۹.

إن قلتَ: يمكن لنا أن نختار شقّاً ثالثاً وهو تكذيب تلك الروايات.

قلتُ: مضافاً إلى كثرهٔ تلك الروايات بحيث لا يمكن تكذيبها كلّها، فإنَّ الموجب لتكذيب الخبر ما هو؟

إنَّ الموجب لتكذيبه: إمَّا مخالفته لضرورى النقل أو ضرورى العقل، وإمَّا وجود ما ينهض بمعارضته من النصوص الأخر، ولا يخفى أنَّ فيما ينقل من وقائع وقعت أو حوادث صدرت من بعض الصحابهٔ، والالتزام بذلك فيها ليس فيه خلاف لضروريٍ من عقل أو نقل، كما ليس فيها روايات أخرى معارضهٔ لها حتى يلزم

---

۱- والمشكلهٔ الكبرى التى يعيشها الكاتب وأمثاله هو أنَّهم قد ولدوا ودرجوا على هذه الهالهٔ القدسيَّهٔ لمن صَاحَبَ النبى أو عاش معه فى زمانه أو روى عنه، وكأنَّ تلك الأمور توجب العصمهٔ لهم، وابتنت عقولهم على ذلك لأجيال متتاليهٔ ومتراميهٔ الأطراف والأشخاص، ولمسافات فكريهٔ معمقهٔ من قبل الأيدى الخبيثهٔ المغرضهٔ التى ما فتئت تعبث بالتاريخ والحديث والسيرهٔ إرضاءاً لأيدى غريبهٔ عن الدين، واللَّه المستعان، ولا حول ولا قوَّهٔ إلا باللَّه العلى العظيم

ص: ۲۹

تساقطهما، والفرض عدم وجود آية تثبت العصمة لهم جميعاً حتى يصار إلى تأويل تلك الروايات مهما أمكن.

كما أنَّ الروايات قد وردت لنا من قبل أشخاص لا ـ يمكن الطعن عليهم كما لو كانت فى الصحيحين أو المسانيد الأخرى بشرط الشيخين، وهكذا فى كل رواية، ولو كانت من كتاب غير تلك الكتب، وكانت جامعة لشرائط صحَّة الخبر.

ولو التزم بسقوطها للزم التخلّى عن علم الحديث والرجال، وبالتالى يجوز لهم أخذ كلّ حديث دون البحث فى سنده أصلًا، وهو كما ترى!.

الموقف الخامس: لايمانع أحدٌ، بل ممَّا لايُنكَر: أنَّ الرسالة المحمديَّة، و الهدى النبوىّ الشريف هو نعمةٌ عظيمةٌ، بل هى من أعظم النعم على الصحابة بل على الأمَّة جمعاء، وكما قال تعالى فى آخر الآية المذكورة: ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاء (۱) ۴۰.

ولكنَّ السؤال الذى يبقى بلاإجابة بعدُ: هل أدّوا حقَّ تلك النعمة؟ وهل شكروا للَّهذلك الفضل الذى هم فيه؟ فقد قال تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرَاً إلَّا المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى (۲) ۴۱.

فهل تودَّدوا لذوى القربى أو عَادَوْهُم؟.

---

۱- سورة المائدة: ۵۴

۲- سورة الشورى: ۲۳

ص: ۳۰

وقد كان هذا أمراً يسيراً فى مقابل تلك النعمة العظيمة، والفضل الإلهى الكبير، والذى لم يؤدّوه كما ينبغى، وقد دلَّت على ذلك الروايات الكثيرة فى الصحاح وغيرها.

الموقف السادس: قد قالوا فى فقه القضاء: «البيّنة على المدّعى، واليمين على من أنكر».

وقد ادَّعى الكاتب: أنَّ هناك ملازمةً بين المحبَّة للرسول، والاعتقاد بأنَّه أدّى الأمانة، وبين تعديل الصحابة الذين أخذوا عنه الحديث، وعاش بين أظهرهم، وأنَّ الطعن فيهم طعنٌ فى إمامهم وقائدهم!

فما هى بينته على ذلك!؟ ففى كلّ ما عرضه لم يأتِ لنا بدليل على ما ادَّعى، لا شكَّ إذن أنَّه يرسل الكلمات جزافاً.

فإذا تبيَّن للمنصف العاقل أن لابيّنة للمدعى، ظهر له أن لاملازمة بين الأمرين قطّ، بل قد يجتمعان فى واحدٍ ويفترقان فى آخر، والتاريخ وتراجم الرجال فيها من الشواهد ما تُملأ به الصفحات.

النقطة الثالثة: وفيها عدَّة إشارات مع هذا الكاتب:

الإشارة الأولى: لقد حاول ثانية أن يضرب على وتر الصحبة والملازمة بين المعلّم والمتعلّم؛ فادعى بأنَّ وِزَانَ الرسول مع صحبه وِزَان رئيس القوميَّة أو الدولة مع أعوانه والمقربين منه، فيما لو جاء شخص يدعى انتسابه إليهم، ولكن يطعن فى المقربين من

ص: ۳۱

الرئیس ویصفهم بالخونة، فلاشکّ أنَّ هذا الرئیس سیغضب لذلک ولن یرضی أن یوصف المقربون منه بتلک الصفات، وهنا عدَّة أمور:

الأول: لقد قاس الرسول الأعظم بمقیاسه الصغیر علی أنَّه رئیس قومیَّة أو دولة، ولکنَّ هذا القیاس مع الفارق؛ لأنَّ رئیس الدولة هو الذی اختار بطانته وقرَّبهم وجعلهم مختصین به، بینما لم یجعل الرسول جمیع صحابته من المقربِّین له، بل کلامک أخذ للدعوی فی الدلیل فی الواقع، وهو مصادرة علی المطلوب.

علاوةً علی تفرّع ما ذکره عن عقیدته القاصرة فی النبی صلی الله علیه و آله بأنَّه قابل للخطأ، ولذا صحَّ له مثل هذا القیاس، والحقّ عندنا عدم صحَّة ذلک، بل الأدلّة العقلیَّة والنقلیَّة قائمة علی بطلان ذلک، وهی قائمةٌ علی أنَّه صلی الله علیه و آله معصوم عن الخطأ فی کلّ شیء وکفانا دلالةً قوله تعالی: وَمَا یَنْطِقُ عَنْ الهَوَی* إنْ هُوَ إلَّا وَحْیٌ یُوحَی (۱) ۴۲ الثانی: لو اکتشف أحد الرعیَّة خیانةً من مقرّبی الرئیس ونسبها إلی الرئیس أو کانت سوف تحسب علیه بما سیشوِّه سمعته عند الملأ، فلاشکَّ أنَّ کشف هذه الخیانة وتبرئة الرئیس منها لیست ممَّا یغضب الرئیس، بل هی ممَّایُسرُّه!!؟

---

۱- النجم: ۴- ۵

ص: ۳۲

الثالث: قد جعل اعتبار الرسول لصحبه ولقربهم منه کاعتبار رئیس البلد أو القومیَّة لذلک، وهذا لو سلَّمناه فی حدّ ذاته (۱) ۴۳ لم نسلِّم صدوره من النبی صلی الله علیه و آله بنحو عام، فلنا أن نسأله: هل کان اعتبار الرسول لکلّ الصحابة أو لبعضٍ منهم؟ وهم خصوص من کـان یری فیهم الإخلاـص والتقوی والامتثـال لأوامره والانتهاء عن نواهیه؟ لا أشک فی عـدم اختیارک للشقّ الأوّل بل لابـدّ أن ترجّح للشقّ الثانی، وإلا فتعالَ لنقرأ تاریخ الصـحابة واحداً واحداً، وَلْنَرِی العَالَمَ أَجْمَع کیف أنَّ بعض من تسـمِّیهم بالصحابة کانوا علی شکّ من الرسول فی إخبـاراته (۲) ۴۴؟ وفی أوامره ونواهیه (۳) ۴۵؟ بـل حاول البعض منهم التعرّض لقتل النبیّ حین دحرجوا علیه الـدباب (۴) ۴۶ بل لم یقبلوا منه قط تبلیغاته المتکررة فی

---

۱- وإن کان من حیثیات أخری قد یوجب منقصة فی النبی، وذلک لکماله صلی الله علیه و آله ونقصهم، ولعصمته وقابلیتهم للخطأ

۲- راجع واقعة صـلح الحدیبیَّة وقول بعضهم: ماارتبت ارتیاباً قبل الیوم، وفی روایة أخری: ما شککتُ مثل الیوم..، وستأتی مصادر هذه القضیة، فانتظر

۳- سیأتی منَّا بیان لبعض الموارد التی صـدرت منهم وکانت صریحة فی الامتناع عن امتثال أوامر النبی صـلی الله علیه و آله، کما فی إحلاله وذبحه الهدی وشـکواه أمر أصـحابه لزوجه أم سـلمة، وکما فی «أنحجّ ورؤوسـنا تقطر؟» صـحیح البخاری: ۲/ ۵۹۴ رقم ۱۵۶۸، وکما فی اعتراض البعض علیه فی توقیع الصلح مع قریش.. و.. و

۴- وهی قضیة العقبة ومرور النبی بها فحاول جماعة من أصحابه قد تآمروا علی قتله، وسیأتی ذکر مصادرها

ص: ۳۳

ابن عمه وولیّ أمرهم بعده بلافصل علیّ بن أبی طالب (۱) ۴۷.

الثالث: ونسأل الکاتب المعاصر ونخاطب وجدانه: ألم تجلس علی مقاعد الدراسة عبر ترقیاتک العلمیَّة، ووجدت من الطلاب من لم یوافق أستاذه فی عرض بعض الأمور أو فی القبول بها؟ بل ألم یکن منک أنت بنفسک مثل هذا الأمر فی أن ترفض أو تعارض بعض ما یعرضه أستاذک ومعلّمک من أمور سواء فی مادة البحث أو فی منهجه؟ بل حتّی ولو لم تبدِ هذا المعنی لأستاذک حینئذٍ لکن ألم یکن فی قلبک شیءٌ منه؟

کل هذا وکلاکما غیر معصوم عن الخطأ فی اللسان ولا فی الجَنَان ولا فی الاعتقاد، ولکنَّ الفارق بینکم وبین الصحابة- مع أنَّهم کانوا کذلک غیر معصومین- أنَّ معلمهم کان معصوماً بإجماع المسلمین وضرورة العقل والنقل، وأنَّهم رأوا النبی صلی الله علیه و آله دونکم، وإلی هنا نصل إلی نتیجة وهی:

---

۱- وقضیة الحارث بن النعمان مشهورة مسطورة فی الکتب، حیث أنَّه لما اتصل إلیه خبر تنصیب النبی علیاً ولیاً ومولی للمؤمنین أتی النبی فقال له: أمرتنا بالصلاة فصلینا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا وبالزکاة فزکینا أموالنا، ولم تکتف بذلک حتی نصبت ابن عمک علینا ولیًا، أهو أمر من اللَّه أم من عندک؟ قال صلی الله علیه و آله بل هو من عند اللَّه، فخرج وهو یقول: «اللهم إن کان من عندک فأنزل علینا حجارة من السماء» فذهب نحو دابته لیرکبها فما أتم رکوبه حتی نزلت علیه حجارة من السماء فوقعت علی رأسه وخرجت من دبره فمات من حینه» فراجع تفسیر قوله تعالی: سأل سائل بعذاب واقع

ص: ۳۴

أنَّ غیر المعصوم قابـل للخطـأ ولکنَّ المعصوم لا نتصور تحقق أو صـدور الخطأ منه، وأنَّ الاشـتباه من غیره– ولو کان هـذا الغیر هو من الصحابهٔ– یمکن تحققه وصدوره، وأنَّ الاختلاف مع المعلِّم یمکن صدوره أیضاً، ولکنَّ الأمر المهم والمتبقی هنا هو أنَّ الاختلاف مع المعلّم أمر طبیعیّ لو کان غیر معصوم وقابلًا للخطأ، لأنَّه بشـرو لکنَّ اختلاف الصـحابهٔ مع نبیهم ومعلمهم ألیس قبیحاً؟ وعدم انصیاعهم لأوامر نبیهم ألیس قبیحاً؟ بل ألم یکن عدم اعتقادهم بما یقول فضیعاً منهم وأمراً شنیعاً؟

لا تقل لی: کلّ ذلک لم یصدر، وأنَّ کلّ ما ذکره المؤرّخون محض أساطیر وأکاذیب لفَّقوها.

فإنَّ ما أستندُ إلیه فی دعوای هذه لیس تلک الکتب التاریخیَّهٔ؛ بل هی روایات الصحاح والأسانید.

وإنَّ مقتضـی قواعـد البحث العلمی أن تکون ممَّن یتبع الـدلیل لا ـ ممَّن یُطَوِّع الـدلیل کمـا یشـاء، أو یقبل منه ما یوافق هواه ویرفض ما یخالفه.

والمصادر موجودهٔ بین یدیک، ولیس علیک إلا الخلوهٔ بنفسک متأملًا فی الروایات متصفحاً لکتب التأریخ، ولا تقل: «إنَّ تلک الکتب کلّها أساطیر»، فتکذب کلّ ما لا یوافق رأیک.

ویاتری: هل یبقی لک کتاب تعتمد علیه؛ لو رددتَ کلّ ما خالف هواک؟

ص: ۳۵

الإشارة الثانية: وأمّا ما تعرضتَ له من أنَّ ذمّهم يسقط مباشرة وبلا تأنٍ، وذلك فى مقابل مدح رئيس الدولة أو القوم لهم، وفى مقابل كلّ من يذمّهم.

فأين قد صحَّ عن النبىّ الأكرم أنَّه مدحهم عامّة ومطلقاً؟

وأيضاً لو صدر عنه مدح لبعض الصحابة، حتى ما كان بعنوان الصحابة فلابدَّ من صرفه إلى خصوص الذين اتبعوه بإحسان وأحسنوا الصحبة، وبذلوا أنفسهم دونه، لا كلّ من تحقق أنَّه صحب النبىّ بالمعنى الذى ذكرته أوَّل الرسالة، وهو من آمن بالنبىّ وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك.

فما العبرة فيمن آمن بالنبىّ وصحبه مدَّة حياته أو مدَّة حياة النبى صلى الله عليه و آله لا حبّاً فى الإسلام؛ وإنَّما لسلطان النبى صلى الله عليه و آله أو لوجاهة بين الناس، وما أكثر أغراض الناس واختلاف أهدافهم وغاياتهم فى التقرب من الرؤساء، هذا أوّلًا.

وثانياً: لو فرضنا صحَّة مدح النبىّ للصحابة؛ فقد ثبت عندنا ورود ذمٍّ لبعضهم أو لبعض الصفات الموجودة فيهم، و ثبت عندنا من روايات بطريق صحيح غضب النبى على بعضهم، وعدم رضاه عنهم أو تبرؤه مما عملوا، و ثبت من بعض الروايات أنَّه قد صدر منهم بعد وفاته صلى الله عليه و آله ما لا يُرضيه لو كان حيّاً بين أظهرهم.

فطريق الجمع بين الأمرين أن نخصّص المدح الوارد فى الصحابة بمن لم يصدر منه ما يشين الصحبة ويباعدها عنه.

ص: ۳۶

لا أن نردَّ كلّ تلك الروايات الواردة فی حقٍّ بعضهم ممَّا ینافی روایات المدح.

الإشارة الثالثة: لو دار ثبوت العیب بین ثبوته للمعلِّم أو للتلامیذ أو للناقد لهم، فهنا نُعمِل القواعد العلمیَّة المستندة للعقل السلیم.

فنرى أنَّ المعلِّم؛ فیما لو كان معصوماً وقد بذل جهده فی التعلیم والتربیة والتزكیة لهم؛ فهو خارج عن عنوان ثبوت العیب فیه.

وأمَّا التلامیذ: فهل تعلَّموا كلَّ ما علَّمهم؟ وهل وعوا وعملوا بكل ما تعلَّموا؟ أم تخلَّف العالم منهم عن العمل؟.

إنَّ هذا ما تهدینا إلیه بعض الآیات والروایات الواردة فی الصحاح، حیث تثبت عدم انصیاعهم لكل ما قاله معلِّمهم وقائدهم.

۱- فاقرأ معی هـذه الآیـة: یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ یَنَالُوا (۱) ۴۸ فقد نزلت فی بعضـهم یوم غـدیر خمٍّ لما رأوا النبی صـلى الله علیه و آله رافعاً بید علیّ قالوا: «انظروا إلى عینیه كأنَّهما عینا مجنون»، وقیل هو الجُلَاس بن عبید، أو سوید، ولكنَّه تاب بعد ذلک عمَّا قال (۲) ۴۹.

---

۱- التوبة: ۷۴

۲- سیأتی مصدرها لاحقاً

ص: ۳۷

۲- واقرأ معی أیضاً قوله تعالی: وَیَقُولُ الـذِّینَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَت سُورَةٌ مُحکَمَةٌ وَذُکِرَ فِیهَا القِتَالُ رَأَیْتَ الذِّینَ فِی قُلُوبِهِم مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیکَ نَظَرَ المَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِن المَوْتِ فَأَوْلَی لَهُم (۱) ۵۰ فالذین فی قلوبهم مرض هم من الذین آمنوا، ومن الصحابة، لأنَّ المفروض أنَّهم آمنوا وهم مع النبی صلی الله علیه و آله.

ثمَّ أَکْمِلْ تلاوة السورة معی، وَقِفْ عند قوله تعالی: أَمْ حَسِبَ الذِّینَ فِی قُلُوبِهِم مَرَضٌ أنْ لَنْ یُخرِجَ اللَّهُ أَضْـغَانَهُم* وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَیْنکَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِیمهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِی لَحْنِ القَوْلِ.. (۲) ۵۱.

واقرأ قوله تعـالی: مَـالَکُم إذَا قِیل لَکُم انفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إلی الأَرْض (۳) ۵۲ فمن الذی تثاقل عن النفور للجهاد غیر الصـحابة من الکفَّار والمشرکین؟ هل هم المؤمنون أم غیرهم؟

۳- واقرأ معی قوله تعالی: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوَاً انْفَضُوا إِلَیْهَا وَتَرَکُوک قَائِمَاً (۴) ۵۳ ففی البخاری (۵) ۵۴: أقبلت عیرٌ یوم

---

۱- محمد ۲۰

۲- محمد ۲۹، ۳۰

۳- التوبه ۳۸

۴- الجعه

۵- صحیح البخاری: ۴/ ۱۸۵۹ برقم ۴۶۱۶

ص: ۳۸

الجمعهٔ ونحن مع النبى صلى اللَّه عليه وسلم فثار الناس إلا اثنى عشر رجلًا فأنزل اللَّه: وإذا رأوا تجارهً... (۱) ۵۵.

وأمّا فى الروايات: ففيها الكثير ممّا يُثبت عدم انصياعهم لأوامره صلى الله عليه و آله.

فمنها: ما ذكره البخارى فى صحيحه من أنَّه لمّا تمَّ صلح الحديبيَّهٔ وهمَّ الرسول بالإحلال بالهدىأمر أصحابه بالذبح؛ فلم يقم منهم أحدٌ؛ فأمرهم ثانيهٔ وثالثهٔ، فلم يستجيبوا، فدخل إلى خيمهٔ أم سلمهٔ، واشتكى إليها أصحابه، فقالت له: لا عليك منهم اخرج واذبح الهدى، فلماخرج وذبح هديه قاموا متثاقلين الواحد والإثنين» (۲) ۵۶.

بل فيها: «جاء عمر للنبىّ وقال له: أو لستَ نبىّ اللَّه حقّاً؟! قال: بلى.

---

۱- وفى تفسير الكشاف للزمخشرى: ۴/ ۵۳۶- ۵۳۷: قيل: بقى معه ثمانيهٔ، وأحدعشر، واثنا عشر، وأربعون، فقال عليه السلام: «والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادى ناراً»، وفى هامش التفسير... وأصل هذه القصهٔ فى الصحيحين من روايهٔ حصين عن سالم.. وفى لفظ مسلم: «منهم أبوبكر وعمر» وفى روايهٔ: «وأنا فيهم»، أقول: فهل يمكن بعد هذا أن نحكم على كل الصحابهٔ بأنَّهم عدول ولا يمكن التعرض لهم بالنقد والتجريح وقد آذوا النبى وتركوه قائماً؟؟ والغريب من بعضهم تعليله فعلهم بأنَّ وقتئذٍ لم يكن الاستماع للخطبهٔ واجباً، فاسمع واعجب!!

۲- صحيح البخارى: ۲/ ۹۷۸، صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۱۱

ص: ۳۹

قال: أو لسنا علی الحقّ، وعدوّنا علی الباطل؟ قال: بلی.

قال: إذن؛ فلم نعطی الدنیَّة فی دیننا؟

قال: إنّی رسول‌اللَّه، ولستُ أعصیه وهوناصری، أو قلتُ لک تحجّ البیتَ العامَ؟

قال: لا، فرجع ولقی أبابکر فقال له ما قال للنبیّ فأجابه بما أجابه، فرجع عنهما، وهو یقول: فعملتُ لذلک أعمالًا» (۱) ۵۷.

ومنها: فی حجَّة الوداع لمَّا أمرهم بالإحلال ثمَّ الإحرام للحجّ جاءه بعضهم، وقال: یارسول اللَّه ننطلق إلی منی ورؤوسنا تقطر..!؟» (۲) ۵۸.

ومنها: ما فی صحیح مسلم (۳) ۵۹ من ظهور ضیق صدور الصحابة من أوامر النبیّ صلی الله علیه و آله: أهللنا مع رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وسلّم بالحجّ فلمّا قدمنا مکّة أمرنا أن نحلَّ ونجعلها عمرةً، فکبر ذلک علینا وضاقت به صدورنا....

---

۱- وفی المصدر هکذا: قال الزهری: قال عمر: فعملت لذلک أعمالًا

۲- صحیح البخاری: ۲/ ۵۹۴ رقم ۱۵۶۸

۳- صحیح مسلم: ۲/ ۸۸۴ برقم ۱۲۱۶، ونفس الحدیث بلفظ البخاری: ۲/ ۵۹۴: ننطلق ورؤسنا تقطر، وبلفظ أحمد ۴/ ۲۸۶ و مسند أبی یعلی ۳/ ۲۳۳: فقال الناس: یارسول اللَّه قد أحرمنا بالحج فکیف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا ما آمرکم فافعلوا، فردوا علیه القول فغضب ثم انطلق حتی دخل علی عائشة غضبان فرأت الغضب فی وجهه، فقالت: مَن أغضبکَ؟ أغضبه اللَّه، قال: وما لی لا أغضب وأنا آمر بالآمر فلا أتبع!!

ص: ۴۰

وفى لفظ الطبرانى فى المعجم الكبير (۱) ۶۰: حتى إذا كان يوم التروية أمرنا فأهللنا بالحجّ، فقال بعضنا لبعض: خرجنا من أرضنا حتّى إذا لم يكن بيننا وبين منى إلّاأربع نخرج ومذاكيرنا تقطر منيّاً!؟.

فبلغ ذلک رسول اللّه فقال: أتتهمونى وأنا أمين أهل السماء وأهل الأرض!؟.

ومنها: اعتراضهم وطعنهم فى تأمير النبىّ صلى الله عليه و آله أسامهٔ بن زيد على الجيش، وفيه: فطعن بعض الناس فى إمرته، فقام رسول اللّه فقال: «إنّكم تطعنون فى إمرته كما كنتم تطعنون فى إمرهٔ أبيه من قبل..» (۲) ۶۱ ومنها: ما صدر من عمر من منع النبىّ صلى الله عليه و آله وهو فى أيامه الأخيرهٔ أن يكتب كتاباً للهدايهٔ لايضلُّ الناس بعده أبداً، فقال عمر: إنَّ النبىّ قد غلبه الوجع وعندنا كتاب اللّه، فاختلفوا، وكثر اللغط، قال: «قوموا عنّى ولا ينبغى عندى التنازع..» (۳) ۶۲.

وهذا غيض من فيض، وإنَّما ذكرنا هذه الموارد دفعاً لتغرير الكاتب بعدم مخالفتهم لتعاليم النبىّ صلى الله عليه و آله كأستاذٍ لهم ومعلِّم.

وإلا، فهى واضحهٔ للعيان ولا تحتاج إلى برهان، وقانا اللّه

---

۱- المعجم الكبير للطبرانى: ۷/ ۱۲۷

۲- صحيح البخارى: ۶/ ۲۴۴۴، صحيح مسلم: ۴/ ۱۸۸۴

۳- صحيح البخارى: ۱/ ۵۴ برقم ۱۱۴

ص: ۴۱

سوء المنقلب.

وأما فی رجوع العیب للطاعن وأنَّه یرجع طعنه فیهم للطعن فی المعلِّم.

فهـذا کلام مرفوض جملـةً وتفصـیلًا، فإنَّ الناقـد البصـیر؛ فیما لو اسـتند إلی مقـدمات علمیَّة تامّـة واعتمد علی أدلّة معتبرة عند الخصم، فنقـده یکون نقـداً قـد صـدر من أهله ووقع فی محلّه، ولا یلزم من ذلک رجوع الطعن للمعلِّم، وذلک لفرض التفکیک بین المعلِّم وما جهد من تعلیمهم، وبین التلامیذ الذی لم یحسنوا الوفاء للمعلّم...!!

هذا مع اعتبار حسن الصحبة والاحترام والتقدیر لمن وَفَی منهم، وثبت حسن صحبته له صلی الله علیه و آله حتی انتقل إلی جوار ربّه.

الإشارة الرابعة: تفاخره بما فعل من ادَّعی لهم حسن الصـحبة بأنَّهم ممَّن وقفوا معالرسول الأکرم فیحروبه حتی بلغت القلوب الحناجر، ولم یتخلّوا عنه، یلحظون مجالسه وأنفاسه نفساً بنفس، ویتدافعون علی فاضل ماء وضوئه.. إلی آخر کلامه.

ولقـد قرب- هـذا الکاتب- من نقل الحقیقـة! فالحمـد للّهعلی الصـحوة بعـد الغفوة، ولنسأل الکاتب: فی أیّـة معرکـة هجم الکفارُ علی المسـلمین فثبتوا غیر جماعـة مخصوصـة؟ أفی بـدر لمَّا حملوا علی النبیّ حینهـا نادی رسول اللّه صـلی الله علیه و آله بعلی علیه السـلام لیدفع المقاتِلَةَ من الکفار عنه؟ أم فی غیرها؟ فارجع للنصوص تجد أنَّها تبین لک الواقع.

ص: ۴۲

وهل سمعت فی معرکة من معارک النبیّ بشجاعة أو بسالة من غیر أفراد منهم؟ وهل کانوا کلهم معروفین بالمبارزة والقتال؟؟

وهاک مثلًا من معرکة أُحُد: لمّا نزل الرماة عن جبل أُحُد ظنّاً بالنصر، وانتهاء المعرکة، ومسارعة للغنائم، فَکَرَّ علیهم الکفّار، وفرَّ المسلمون، فمن بقی مع النبیّ یقیه بنفسه وبسیفه؟؟

وأینک عن غزوة حنین التی تحدّث عنها القرآن إذ أعجبتهم کثرتهم، ولمّا باغتهم المشرکون فرُّوا جمیعاً، والعبّاس ینادی خلفهم: «یاأهل بیعة الشجرة، یا أهل سورة البقرة»!!.

وهکذا فی غزوة الأحزاب: من الذی برز لمقابلة عمرو بن عبد ودّ؛ ذاک البطل الذی کان یعدّ بألف فارس؟

لولا- برز له أمیر المؤمنین علیه السلام وتنازلا- القتال، وما انجلت الغبرة إلا وعلی علیه السلام قد رقی صدر عمرو واحتزّ رأسه، فکبَّر المسلمون وانهزم المشرکون (۱) ۶۳.

ولقد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله یومذاک: «إنَّ ضربة علیّ لعمرو أفضل من عمل الثقلین أو- عبادة الثقلین-» (۲) ۶۴.

---

۱- سیأتی ذکر مصادرها حین الکلام فی غزواته صلی الله علیه و آله

۲- المستدرک للحاکم: ۳/ ۳۲، تاریخ بغداد: ۳/ ۱۹، مناقب أخطب خوارزم: ۱۰۴، المغازی للواقدی: ۲/ ۴۷۰- ۴۷۱، نهایة العقول للرازی: ۱۰۴، ومصادر أخری کثیرة، بل کل من تعرض للمعرکة ذکر هذا إلا من أعمی الله بصیرته فلم یبصر الطریق إلی علی علیه السلام

ص: ۴۳

وکـذا فی خیبر؛ فقـد خرج أولًا أبوبکر ولکنَّه سرعان ما رجع یُجبِّن أصـحابه، ثمَّ أعقبه عمر بن الخطاب ولم یزد علی نظیره بأن رجع یُجَبِّن أصحابه وأصحابه یُجبِّنُونه، فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«لأعطینَّ الرایة غداً رجلًا یحبّ اللَّه ورسوله ویحبه اللَّه ورسوله کرَّاراً غیر فرَّار» (۱) ۶۵.

ولا- یخفی مـا فی تلـک الکلمـات من تعریض بمن عـداه ممَّن فرَّ أو هو کثیر الفرار عن الأبطال (۲) ۶۶ وکـان ما أراد اللَّه ورسوله من الفتح المبین لهم علی یدی أمیرالمؤمنین علیه السلام.

وأمَّا مداومتهم علی مجالس الرسول صلی الله علیه و آله وکثرة محادثته:

فهـذا لیس لکلِّهم وجمیعهم، وإلّـا فهو ممَّا یکـذّبه التاریـخ وتکـذّبه الکثیر من أحوالهم، ففیهم مَن کـان لا یفارق المسـجد لأجل لقمة طعام لعلَّها تصل بید الرسول صلی الله علیه و آله فیلقمها إیّاه (۳) ۶۷.

---

۱- مسند أحمد: ۱/ ۱۵۸، ۲۸۴، ۳۵۸، صحیح البخاری: ۶/ ۲۹۱، صحیح مسلم: ۲/ ۳۲۴ مع اختلاف بینها فی الألفاظ

۲- بل إنَّ نفس ذکر هذه الصـفات لشـخص فی مثل المقام یستفاد منه عدم اتصاف غیر من ذکرت له بها کما هو واضح، إلا أن تقوم قرینة علی خلاف ذلک، کالقرینة الموجودة علی أنَّ النبی لابدَّ أن یکون أشجع الناس

۳- کمـا ذکر ذلـک الصـحابی الکبیر عنـدهم أبو هریرة؛ کمـا فی صـحیح البخاری: کتاب العلم رقم ۱۱۵- کتـاب البیوع رقم ۱۹۰۶- کتاب المزارعة رقم ۲۱۷۹- کتاب الاعتصام رقم ۶۸۰۷، وفی مسلم؛ کتاب فضائل الصحابة: ۴۵۴۷

ص: ۴۴

ومنهم من شغله الصفق فى الأسواق (۱) ۶۸، وقد وردت إلى ذلك الإشارة فى الآية القرآنيّة: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوَاً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمَاً (۲) ۶۹.

وأمَّا ما ذكره من أنَّه صلى الله عليه و آله لم يألُ جهداً فى تعليمهم كلّ خيرٍ ونصحهم فى الابتعاد عن كلّ شرٍّ وتحذيرهم من سوء عاقبته.

فهذا أمر مسلَّمٌ، ولكنَّ السؤال هو: هل أنَّهم كلَّهم اتبعوا نصيحته صلى الله عليه و آله أم لا؟ وهل حذروا مما حذَّرهم منه، أم لا؟

الشواهد والدلائل تقول: «لا، لا»، سوى البعض! وعلى المدّعى خلاف ذلك أن يأتى بالبيّنة على ذلك.

وأمَّا الاستدلال لإثبات ذلك بنفس صدور النصح والتحذير من النبيّ!

فهذا ضحك على الذقون لايرتضيه ذو مسكة من عقل سليم.

الإشارة الخامسة: وأمَّا ما استشهد به من مقاتلَة أمير المؤمنين الذين انحرفوا عنه وحاربوه فهو لا يخلو من أحد أمرين:

فإمَّا أن يكون كلامه هذا على وزان كلامه فى صحابة النبى صلى الله عليه و آله مع النبى صلى الله عليه و آله، والكلام فيه هو الكلام، لضرورة التفكيك بين

---

۱- وقد ورد بألفاظ متقاربة وأكثرها هكذا: إنَّ أخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإنَّ إخوتى من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم» صحيحا البخارى ومسلم: الموارد السابقة

۲- الجمعة: ۱۱

ص: ۴۵

المربی والمعلّم وبین التلامیذ، فهو توسیع لدائرة الإشکال لا حلٌّ له.

وإمَّا أن یکون کلامه فیه أجنبیاً، ونلتزم معه بعدم تحقق بیعة منهم له، ولذا بیَّن صلوات اللَّه علیه فی بعض کلماته حقیقة بیعة بعضهم أعنی أول من بایع وهم- الزبیر وطلحة- بل بیَّنها لهم مباشرة، وأخبرهم أنَّهم أول من ینقض تلک البیعة.

وأمَّا خروج مَنْ خرج علیه، فقد جرَّأهم علی ذلک أمثال عمرو بن العاص، ومروان طرید رسول اللَّه هو ووالده الحکم، ومعاویة بن أبی سفیان لمَّا أن امتنع عن تسلیم الأمر لأمیر المؤمنین علیه السلام.

وأنتم تعترفون فی أمَّهات کتبکم بأنَّهم بغاةٌ علی الإمام، والباغی علی إمام زمانه کافر، هذا بحکمکم أنتم، کما صرَّح به علماؤکم (۱) ۷۰ وغیره، و أبوموسی الأشعری والذی قَبِل أن یحکم

---

۱- لکنَّ ابن تیمیَّة یأبی عن الحکم بکفر معاویة، فیقول: خرج علی إمام زمانه فهو باغٍ، ولکنَّه مجتهد مخطیء فله أجر واحد، فالباغی لیس بکافر!!

سبحان اللَّه وهل المخطیء بالخروج علی إمام زمانه کالمخطیء بفعل أمر صغیر جزئی؟! فما لکم کیف تحکمون؟

وفی الواقع إنَّ هذا التبریر منه لیس لمعاویة فقط، بل لمن خرج یوم الجمل أیضاً، کی لا یحکم بکفرهم کذلک!!

ص: ۴۶

على إمامه، بل سوَّل له شيطانه أن يتصور تمكنه من خلع الإمامة التى كانت ثابتةً لأمير المؤمنين عليه السلام فخلعها غافلًا أو عامداً متجرأً، فتمَّت الخدعة والمكيدة على خلع على عليه السلام.

وما علموا أنَّها إمامة إلهيَّة لا يمكن خلعها من قبل أنفسهم، وما كان خواصُّ علىّ إلا قلَّة قليلة، ولذا قال فى أكثر من مقام: «ما ترك لى الحقّ من صديق».

وقبل كلّ ذلك: إنَّ بيعة أمير المؤمنين عليه السلام كانت من اللَّه عزَّ وجلَّ ومن رسوله صلى الله عليه و آله ولم تكن منعقدة من الناس، بل الجلُّ منهم إن لم يكن الكلّ قد بايعوه فى الغدير حتى قام الخليفة الثانى مُسَلِّماً عليه بأمر النبى صلى الله عليه و آله وهو يقول له: «بخٍ بخٍ لك يابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة» (۱) ۷۱.

فالعجب كيف صحَّت لهم بيعة مَن تقدم عليه مع اشتغال ذمتهم وصفق أيديهم ببيعتهم لعلى عليه السلام قبل ذلك، وها أنتم تروون: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثانى منهما» (۲) ۷۲ فحَقَّ القتلُ على كلّ من تقدّم على أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة لنفسه.

إلا أن تردُّوا هذه الرواية وأمثالها، وهذا ما لا نرتضيه لكم من

---

۱- شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى: ۱/ ۲۰۰، تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۴۲، مسند أحمد: ۴/ ۲۸۱، الرياض النضرة: ۲/ ۱۶۹، سرُّ العالمين للغزالى: ص ۲۱

۲- صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۸۰ ج ۱۸۵۳، المستدرك: ۲/ ۱۶۹ ح ۲۶۶۶

ص: ۴۷

ردّها أو استحقاق القتل لهم، كما لا ترتضونه أنتم.

النقطهٔ الرابعهٔ: الطعن فی الصحابهٔ.

لقد حرص المدّعون بأنَّهم أهل السنَّهٔ على الالتزام بعدالهٔ الصحابهٔ جميعاً، ولم يُعلَم لهم وجه عقلی (۱) ۷۳ أو نقلی أو عقلائی

---

۱- نعم قـد ذكر هذا الكاتب وجهاً يصلح لأن يكون وجهاً عقليًّا، وإن كان مسبوقاً به من قبل شارح المواقف؛ وهو أنَّه يلزم من الطعن فی الصحابهٔ عدم الاحتجاج بالسنَّهٔ لأنَّهم هم الذين يروونها.

ولا ـ يخفى على المتأمل أنَّ هـذا الإشكال محض توهم فاسد، وذلك أنَّ هـذا يتم فيما لو انحصر نقل الحـديث والسنَّهٔ من خصوص المطعون فيهم من الصحابهٔ.

وأمَّا مع عدم انحصاره فيهم فلا موجب ولا ملزم لما ذكروا من اللازم، فإنَّ من الصحابهٔ الرواهٔ للحديث والناقلين للسنهٔ النبويّهٔ الكثير الكثير ممَّن لا طريق للطعن عليهم بوجه، وسيأتی منَّا ذكر بعضهم.

ثمَّ إنَّ الفحص والبحث عن الصحابی المستقيم الطريقهٔ وتمييزه عن الصحابی الذی بدَّل وعطَّل وحرَّف، هل يوجب ترك السنَّهٔ أو عدم روايتها أو تعطيل الدين كما يدعيه هذا الكاتب؟ كيف؟ والعترهٔ الهاديهٔ عِدْلُ الكتاب، وهم أهل البيت الذين نصَّ النبی صلى الله عليه و آله فی مواطن عدَّهٔ على أنَّهم بهم الهدايهٔ، وأنَّ اللازم لهم لاحقٌ والمقصِّر فی حقهم زاهقٌ والمتقدم عليهم مارق، فهم قد رووا عن جدِّهم الرسول صلى الله عليه و آله كلّ ما يلزم الدين من أصول وفروع، ومعهم ثلَّهٔ كبيرهٔ من الصحابهٔ الأبرار رووا ما فيه الكفايهٔ عن روايهٔ غيرهم من المنافقين والمتَّهمين والمعتدين؟ فلماذا لا يؤبه بروايات هؤلاء، ويخصّ الدين بما يرويه أولئك أمثال المغيرهٔ بن شعبهٔ ومروان ومعاويهٔ وبسر بن أرطأهٔ ومسلم بن عقبهٔ و.. و

ص: ۴۸

يوجب ذلك، بل حتى الصحابة أنفسهم لم يكن عملهم كذلك (۱) ۷۴.

إذ أنَّ كلّ ما ورد من آيات أو روايات هو لمدح بعض الصحابة، وعلى فعل خاص لا مطلقاً، هذا مع تسليم إرادة المدح منها، وإلا فالبعض منها إخبار عن واقعة خاصة وقعت والحكم المتعلق بها.

وأهمّ دليل ذكره هذا الكاتب من العقل على ذلك: هو لزوم فتح باب الطعن على غير الصحابة من باب أولى، فما الفرق بين الصحابة وغيرهم ما لم تثبت لهم العصمة؟

ومَن هو هذا الغير الذى تقصده؟ وتخاف أن يَطّلِع على الطعن عليه أعداء الإسلام؟

ثمَّ ما هو الدليل على المنع عن الطعن فى مَن ثبت فيه ذلك، فى ما لو كانت مصلحة الإسلام والحفاظ على السنَّة النبويَّة تقتضى الطعن والدفاع عن الحقّ؟

وإلا، فامنع علماءكم عن البحث فى علم الرجال، وهو علم أو فنّ له موازينه الخاصة، ولكنَّ لبَّه وواقعه الجرح والتعديل.

---

۱- بل ورد العكس من ذلك عن النبى حيث إنَّ البخارى روى عن حذيفة: «.. اثنا عشر رجلًا من أصحابى لا يدخلون الجنَّة حتى يدخل الجمل فى سم الخياط» صحيح مسلم: ۴/ ۲۱۴۳ كتاب صفات المنافقين، وفى رواية أخرى: فى أصحابى اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنَّة ...» صحيح مسلم: ۸/ ۱۲۲، السنن الكبرى للبيهقى: ۸/ ۱۹۸، مسند أحمد: ۵/ ۳۹۰

ص: ۴۹

وهل التجريح إلا أن تقول: فلان مطعون فيه، وفلان كذاب، وفلان مدلس (۱) ۷۵ وفلان كان يشرب الخمر، و.. و...

ولو كان هذا العلم مجرد تعديل فقط لم يصح تسميته علماً (۲) ۷۶.

وعلى هذا فالصحابة كغيرهم من الناس الذين يمكن أن توضع أسماؤهم وأفعالهم على مائدة التشريح فيُرَى: هل كان ثقة متقياً مطيعاً للّه ولرسوله، أم لا؟

والصحبة- لو قلنا بنفعها- لما تعدّى ذلك شرف اللقاء بالرسول الأكرم، ولكنَّ الأمر من زاوية أخرى هو عليهم أشدّ، لأنَّ من رأى النبى وسمع أوامره ونواهيه ولم يمتثلها كانت عقوبته أشدّ ممَّن لم يره و لم يسمع منه وإنَّما سمع من الرواة والأخبار ذلك،

---

۱- وقد كتب ابن حجر العسقلانى كتاباً أسماه «طبقات المدلسين» وجعل فيه مثل أبى هريرة من المدلسين الكبار، وكذا البخارى و.. و. فما تقول فى مثل ابن حجر: هل أنَّ كتاباته كلها أساطير!!؟ وكتب الحميدى كتابه «الضعفاء والمتروكين» وأُلِّفت الكتب فى سرد الأحاديث الضعيفة ك «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة» و «اللآلىء المصنوعة» وغيرها.

بل لو لم يكن عندنا إلا قول النبى صلى الله عليه و آله: «من كذب عليَّ متعمداً...» لكفى فى التشكيك فى مرويات بعض من ادعيت له الصحبة، ولم يكن قد حفظ صحبة النبى فيه، كما أنَّه ينبغى التنبيه على أنَّ ذلك لا ينافى حفظ مقام الصحبة لمن وفى بها وأدى حقها كما أراده اللَّه منه ورسوله

۲- ضرورة اشتمال العلم على جهتى الوجدان والفقدان، أو جهتى النفى والإثبات

ص: ۵۰

وهذا مقتضی اختلاف الرتبة بین الصحابی وغیره.

ویکفینا فی إمکان تطرُّق الطعن لبعض من ادُّعیت له الصحبة ما ذکره البخاری فی صحیحه من حدیث الحوض: «یقدم علیَّ جماعةٌ من أصحابی یوم القیامة- وأنا علی الحوض- فلمّا قربوا منی حیل بینی وبینهم؛ فأقول: یاربِّ أصیحابی أصیحابی؟ فیأتی النداء: إنَّک لا تدری ما أحدثوا بعدک» (۱) ۷۷ وفی نص آخر: «فیحلؤون دونی فأقول: یاربِّ أصحابی؟

فینادینی مَلَکٌ: إنَّک لا تدری ما أحدثوا بعدک؟ لقد رجعوا القهقری..» (۲) ۷۸.

فهذا الکلام من لسان الرسول یوجب تحقق معرضیَّة الصحابة للطعن، خاصة من رجع منهم القهقری بعد وفاته صلی الله علیه و آله.

وأعظمها هذه الروایة، وهی فی ما بعد معرکة أحد، فقد روی الإمام مالک أنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد علیهم، فقال أبوبکرالصدیق: ألسنا یارسول اللَّه إخوانهم؟

أسلمنا کما أسلموا وجاهدنا کما جاهدوا!؟.

فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: بلی، ولکن لا أدری ما تُحدثون بعدی؟!!

---

۱- صحیح البخاری: ۸/ ۱۴۸- ۱۴۹، مسند أحمد: ۵/ ۳۸۸

۲- صحیح البخاری: ۸/ ۱۵۰- ۱۵۱، الجمع بین الصحیحین: رقم ۲۶۷

ص: ۵۱

فبکی أبوبکر ثمَّ بکی، ثمَّ قال: أئِنَّا لکائنون بعدک؟» (۱) ۷۹.

وهاک بعض أسماء الصحابهٔ الذین ثبت أنَّهم لم یحسنوا الصحبهٔ بدلالهٔ کلام الرسول فی حقهم أو مخالفتهم الظاهرهٔ لأوامره صلی الله علیه و آله ولو بعد وفاته صلی الله علیه و آله:

۱- الجد بن قیس الأنصاری، الذی قال النبی فی حقّه: «کلکم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» (۲) ۸۰.

۲- الحرقوص بن زهیر السعدی، ممّن شهد بیعهٔ الرضوان ثمَّ صار رأس الخوارج، وهو الذی قال للنبی صلی الله علیه و آله: اعدلْ، یا محمّد (۳) ۸۱.

۳- محلم بن جثامهٔ، قال فیه النبی صلی الله علیه و آله: «اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامهٔ».

لأنَّه قتل صحابیاً متعمداً (۴) ۸۲ فهو الذی قتل عامر بن الأضبط، ولمَّا مات محلم لفظته الأرض ثلاثاً، فجُعِل علی سفح جبل ورُجِم بالحجارهٔ، فلما أُخبِر النبی صلی الله علیه و آله بذلک قال: هی دعائی علیه.

۴- عبد اللّه بن خطل، کان صحابیاً ثمَّ ارتدّ، ولحق بمکَّهٔ، وقتل

---

۱- الموطأ لمالک بن أنس: ۱/ ۳۰۷ ومغازی الواقدی ص ۳۱۰

۲- صحیح مسلم: ۸/ ۱۲۳

۳- فتح الباری: ۸/ ۶۹، الإصابهٔ: ۲/ ۴۹ برقم ۱۶۶۳، وقیل بأنَّه ذو الخویصرهٔ

۴- الطبقات: ۲/ ۱۳۳، ۴/ ۲۸۲، الإصابهٔ: ۵/ ۷۸۵

ص: ۵۲

یوم فتحها (۱) ۸۳ وهو ممَّن أمر النبیّ صلی الله علیه و آله بقتله.

۵- المغیرة بن شعبة، وحاله أوضح من أن یوضّح.

۶- سمرة بن جندب، أساء السیرة بعد النبیّ، وکان یبیع الخمر ویقتل الأبریاء، هو الذی وضع بعض الأحادیث فی ذمّ علیّ طلباً لرضا معاویة و.. و...

۷- عبدالرحمن بن‌عمر بن‌الخطاب، شرب الخمر أکثر من مرَّة فقتله أبوه حدَّاً وتعزیراً بعد أن حدَّه عمرو بن العاص فی مصر (۲) ۸۴.

والروایات فی هذا مختلفة، فقیل بأنَّ کلا ولدیه قد حُدَّا؛ أحدهما حدّه للزنا والآخر حدَّه لشرب الخمر، أی عبد الرحمن المکنّی بأبی شحمة، وعبید اللَّه، وإن کانت بعض الروایات تفید اتحادهما، وأنَّ الحدّ لیس إلا واحداً.

۸- الولید بن عقبة: الفاسق بنصّ آیة النبأ: إنْ جَاءَکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا.

وغیرهم من الصحابة الذین خانوا الصحبة وتنکّروا لها بعد النبیّ صلی الله علیه و آله أو فی حیاته.

۹- قدامة بن مظعون: وقد شرب الخمر فی زمان عمر وجلده،

---

۱- التمهید لابن عبد البر: ۶/ ۱۷۵- ۱۷۶، الأحادیث المختارة: ۳/ ۲۵۰

۲- السنن الکبری للبیهقی: ۸/ ۳۱۲، سیرة عمر بن الخطاب لابن الجوزی: ص ۱۷۰ وفی ط: ص ۲۰۷، إرشاد الساری: ۹/ ۴۳۹، شرح النهج: ۳/ ۱۲۳ ط مصر

ص: ۵۳

فغاضبه ثمَّ كلمه واستغفر له (۱) ۸۵ بل قال أبو أيّوب: لم يُحدَّ أحدٌ من أهل بدر فى الخمر إلا قدامهٔ ابن مظعون (۲) ۸۶.

ولكنَّ العجب لا ينقضى من مثل الحاكم فى المستدرك (۳) ۸۷ حيث جعل من مناقب قدامهٔ هذا أن نصَّبه الخليفهٔ عمر بن الخطاب والياً من قِبَلِه على البحرين (۴) ۸۸ وقد نسى الحاكم أن يعدّ من مناقبه شربه للخمر فيها، فلم يذكره فى ترجمته!!

۱۰- أبو محجن الثقفى: ممَّن شرب الخمر مراراً، بل لم يكن ينفكّ عن ذلك حتى نفاه عمر إلى جزيرهٔ، وجعل عليه رجلًا حارساً ففرَّ منه، وخرج إلى سعد حيث كان زمن معركهٔ القادسيَّهٔ، وذكر ابن عبد البرّ أنَّه كان منهمكاً فى الشراب لايكاد يقلع عنه، ولايردعه رادع ولا لوم لائم (۵) ۸۹ وذكر عن قبيصهٔ بن

معجم البلدان: ۲/ ۲۶۳

---

۱- الإصابهٔ: ۵/ ۴۲۴- ۴۲۵، الاستيعاب لابن عبد البر.: ۳/ ۲۴۸، السنن الكبرى: ۳/ ۲۵۳، ۸/ ۳۱۵، المصنف لعبد الرزاق: ۹/ ۲۴۱

۲- الموضع السابق من الإصابهٔ والاستيعاب والمصنف

۳- المستدرك: ۳/ ۴۲۶

۴- ولا يخفى أنَّ حكمهٔ التنصيب هو أنَّه خال حفصهٔ بنت الخليفهٔ، وخال أخيها عبداللَّه بن عمر، كما أنَّه زوج أخت الخليفهٔ، فلاحظ فى نسبه المعجم الكبير للطبرانى

۵- الاستيعاب: ۴/ ۱۸۲، بل هو القائل شعراً:

إذا متُّ فادفنّى إلى جنب كرمهٍٔتروِّى عظامى بعد موتى عروقها

ولاتدفننى بالفلاهٔ فإنَّنى أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها

ص: ۵۴

ذؤيب أنَّ عمر جلده فى الخمر: ثمان مرّات (۱) ۹۰ وفى رواية أخرى: أربع مرَّات (۲) ۹۱ وفى أخرى: سبع (۳) ۹۲.

تلك عشرة كاملة، وإن كان فى زوايا الكتب والروايات الكثير منها.

وأمَّا الآيات التى ادّعى الكاتب أنَّها نزلت فى فضلهم، فليدلنا عليها!!

إذ ليس إلا آية بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهذه- كما يقول العلماء-: قضية خارجيَّة مختصّة بجماعة خاصَّة، وهم خصوص مَن بايع تحت الشجرة، فلا تشمل غيرهم.

مع أنَّ آخرها يصرِّح بالتهديد لمن كفر بعد ذلك.

وفى آية أخرى يصرّح بسوء العاقبة لمن نكث بعد ذلك.

وفى ذلك كلّه إشعار بتوقّع النكث والكفر من بعضهم بعد ذلك.

بل التصريح بوقوعه متحققٌ بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله من قوله تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبْلِهِ الرَّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً (۴) ۹۳.

---

۱- الاستيعاب: ۴/ ۱۸۳، المصنف: ۷/ ۳۸۱ باب حد الخمر، ۹/ ۲۴۷

۲- فتح البارى: ۱۲/ ۸۱

۳- المصنف لعبد الرزاق: ۹/ ۲۴۷

۴- آل عمران: ۱۴۴

ص: ۵۵

فإن منعت دلالة هذه الآيات والروايات على مدّعانا، فالمنع عن مدّعاك ممّا ذكرتَ من آيات وروايات أولى وأولى.

وكذا آية الوعد: وَعَدَ اللَّهُ الذِّينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا استَخْلَفَ الذِّينَ مِن قَبْلِهِم وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُم دِينَه الذِّى ارتَضَى لَهُم وَلَيُبْدِلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَر بَعْدَ ذلِكَ فَأُولَئِكَ هُم الفَاسِقُون (۱) ۹۴.

وهذه الآية ظاهرة فى الوعد من اللّه للمؤمنين به حقاً بأن يجعلهم المستخلفين فى الأرض وأن يعطيهم الأمان بشرط أن يتوجّهوا بالعبادة إلى اللّه وأن لايشركوا به شيئاً؛ وإلّا فمن يكفر به فهو فى عداد الفاسقين المساوين للكفّار فى العقاب، على ما يستفاد من آيات أخر، بل لا يبعد مساواة الفسق للكفر فى نفسه كما يمكن استظهاره من بعض الآيات، وللعلماء وأهل التفسير فى هذه الآية آراء متعدّدة:

فقد قال الفخر الرازى- تبعاً للزمخشرى- فى تفسيره (۲) ۹۵ بأنَّها دالّة على صحّة خلافة الخلفاء الأربعة فإنَّهم هم الذى آمنوا ولم

---

۱- النور: ۵۵

۲- الكشاف: ۳/ ۲۵۲

ص: ۵۶

يبدّلوا ولم يغيّروا.

ووافقه البيضاوى، فقد تحقّق مصداقه المنحصر فيهم، وقالوا:

ما اجتمع الموعود والموعود به إلّالهم.

وقال آخرون: هى دالَّة على الاستخلاف للمسلمين جميعاً بعد نصرهم على الكفار فى الجزيرة، أو بعد فتح مكَّة، فهى مساوقة ومرادفة لقوله تعالى: الْيَوْمَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم فَلَا تَخْشَوهُم وَاخْشَونِ.. (۱) ۹۶.

ولقوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِى... (۲) ۹۷.

وقالت طائفة ثالثة بأنَّ الموعودين بهذا هم الأئمة عليهم السلام وأنَّ موعدهم معلوم عند اللَّه مخفىّ علينا، وهو المروىّ عن أئمتنا عليهم السلام، والذى ذكره الشيخ الطبرسى فى مجمع البيان.

وعلى هذه التفاسير المختلفة لا- تتمّ دعواهم على إرادة الخلفاء الأربعة، أضف إلى ذلك عدم دعواهم النصّ على استخلافهم وخلافتهم، بل هم بين من ادّعى نصبه بالشورى (۳) ۹۸ وبين من نصب بالتعيين من سابقه (۴) ۹۹ وبين من جعلها شورى بين

---

۱- المائدة: ۳

۲- المائدة: ۳

۳- كدعواه نصب الخليفة الأوّل

۴- كتنصيب أبى بكر للخليفة الثانى حيث إنَّه قد نصَّ عليه، وقد سبق من أمير المؤمنين ذلك له فقال للثانى: «احلب حلباً لك شطره... فلشدَّما تشطرا ضرعيها..»

ص: ۵۷

ستّة (۱) ۱۰۰ وأمر بحبسهم في دار إلى ثلاثة أيّام، جاعلًا الأمر بيد عبدالرحمن بن عوف.

ولمّا عوتب الخليفة الثاني على ذلك قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي- يعني أبا بكر- وإن أترك فقد ترك من هو خير منّي- يعني رسول اللّه بدعواه أنّه لم يستخلف-.

واعتقدوا أنَّ في ذلك فضيلة له من التوجّه للتخيير بين الأمرين.

ولكنَّ الحقّ المبين هو أنَّه بلا دليل ولا مرشد، وليست إلّا السياسة المدبَّرة والمبيَّتة منه لمن يليه، وأيّة شورى تلك التي يحبس فيها المرشَّحُون وهم المرشِّحُون أنفسهم؟ وهل فيهم خير أن لو انتخبوا مَن لم يرتضه عبد الرحمن أن يضرب عنق الممتنع؟

وبأيّ وجه شرعيّ يقتل؟ فهو إمّا خليفة للمسلمين، وإمّا مقتول، وإمّا موافق للآخر، ولو كان ذا باطل؟

وأمَّا بقيَّةُ الآيات: ففيها أمرٌ لهم باتباع النبي صلى الله عليه و آله واستماع أوامره وعدم التقدّم عليه، وإعزازه والرجوع له في الحكم في ما لو شجر بينهم نزاع أو خصومة، وأمثال هذه الموارد.

وليس فيها من مدح لهم تلميحاً فضلًا عن التصريح به.

---

۱- كما صنع ذلك الخليفة الثاني في شوراه المشهورة

ص: ۵۸

ولعلَّ أعمَّ مـا یتصور دلالـته علی دعوی تلـک المنزلـهٔ لهم هی من قِبَل قوله تعالی: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالـذِّینَ مَعَهُ... (۱) ۱۰۱ فتستفید ذلک من المعیَّهٔ الموجودهٔ فیها، فنسأل: أیّـهٔ معیَّهٔ هی المقصودهٔ فی الآیـهٔ؟ لا شکَّ أنَّ المعیَّهٔ البـدنیَّهٔ لیست ذات أثر حتی تقصد، فکم من رجل بـدنه معک وقلبه علیک، إذن فالمقصود منها المعیَّهٔ القلبیَّهٔ والعقلیَّهٔ، ولـذا لم یکتف القرآن بهذا المعنی من المعیَّهٔ بل صـرَّح بما ذکرنا فی آخر الآیهٔ فقال: وَعَدَ اللَّهُ الذِّینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَهً وَ أَجْرَاً عَظِیمَاً (۲) ۱۰۲.

ولا۔ یخفی الـوجه فی ذکر کلمـهٔ منهم فـإنَّه علاـوهٔ علی عـدم إرادهٔ المعیَّهٔ الجسـدیَّهٔ- وهی عمـدهٔ أدلتکم فی تحقیق الصـحبهٔ بـالرؤیهٔ البصـریَّهٔ- قـد نصَّ علی خصوص المؤمنین منهم والـذین یعملون الصالحـات منهم، لا مطلق من کان معه، وهل یحتاج عاقل لأکثر من هذا البیان لفهم التخصیص منها!!؟.

وأمَّا الروایات التی یدّعی صدورها فی مدحهم؛ فلا تزید علی عدد الأصابع- هذا إذا صحَّ صدورها- حیث قد ناقش فی سندها

---

۱- الفتح: ۲۹

۲- الفتح: ۲۹

ص: ۵۹

الکثیر من أعلامکم (۱) ۱۰۳.

وبعد کلِّ هذا؛ فمن الواضح أنَّ الفتوحات المنتسبة إلیهم یحتاج الأمر فیها إلی إثبات عدالتهم قبلها وبعدها، إذ لیس من شرائط

---

۱- فارجع لکتاب: الفوائد المجموعة فی الأحادیث الموضوعة للشوکانی فی مناقشته للأحادیث التی رویت فی مدحهم، وکذا لکتاب إحقاق الحق للسید المرعشی، ولکتاب اللآلیء المصنوعة للسیوطی، وأمَّا حدیث العشرة المبشرة بالجنَّة فهو مما نقطع بأنَّه موضوع علی لسان النبی للمناقشة فی سنده ومتنه، ولمخالفته لضرورة العقل والنقل، إذ کیف یسوغ من الحکیم أن یعطی الأمان لهم مع علمه بأنَّ منهم من لم یدخل الإیمان قلبه قط؟ ومنهم من سیرتکب ما یخالف أوامره عزَّ وجلَّ فی مستقبل عمره؟ بل منهم من ارتکب الذنب غیر المغفور عندهم وهو الاشتراک فی قتل خلیفة المسلمین: عثمان؟ بل إنَّ ما بینهم من الحرب والکلمات یکشف کشفاً قطعیاً عن وضع هذا الحدیث!. ولنا فی هذا الحدیث بحث مستقل نسأل اللّه التوفیق لطباعته.

وأمَّا حدیث: «أصحابی کالنجوم..» فقد طعن فیه شیخهم ومن إلیه یرجعون وهو ابن تیمیَّة فقد ذکر الشیخ محمود أبو ریة أنَّه بعد طبع کتابه أضواء علی السنَّة المحمدیَّة لقیه محب الدین الخطیب فلامه علی ما کتب، وقد کان بمرأی من حدیث: «أصحابی کالنجوم» فأجابه الشیخ بأنَّ هذا الحدیث ضعیف، وقد ضعَّفه علماؤکم، فقال: مَن؟

قال: أنت؛ فی تعلیقک علی کتاب المنتقی للذهبی! فاشتدّ غضبه، وقال: فی أی صفحة من کتابی؟ قال: ص ۵۵۱، وفیها: یقول ابن تیمیَّة: «وحدیث أصحابی کالنجوم ضعَّفه أئمة الحدیث فلا حجَّة فیه» فبهت الخطیب.

عن کتاب المنتقی من آراء علماء المسلمین ص ۴۲ للسیّد مرتضی الرضوی

ص: ۶۰

الفاتح لبلدٍ أن يكون عدلًا متقيًا، إذ قد روی: أنَّ اللَّه ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاسق أو الكافر (۱) ۱۰۴؟!

وما ذكره من سلسلة اللوازم على الطعن فی الصحابة؛ من لزوم الجرأة على القرآن والطعن فيه أو لزوم الطعن فی السنَّة لأنَّ ذلک طعن فی حَمَلَتِها، وتشويه أمجاد الإسلام وحضارته.

فكلّ تلک لوازم فاسدة، بل هی غير لازمة للكشف عن فساد بعضهم، أو كذب دعواه الصحبة له، أو دعواهم الصحبة له صلى الله عليه و آله قط.

فإنَّ صدور طعن فی بعض الصحابة ليس مانعاً عن الرواية عن الصحابة الآخرين الذين لم يرد فيهم طعن، والفرض عدم توقف الوثوق بالسنَّة أو وصول القرآن وتواتره على أولئک الأشخاص المطعون فيهم.

## والخلاصة:

أنَّ الذی يبدو لنا أنَّ هذا الكاتب ليس له غرض أساسی فی توثيق وتعديل كل الصحابة، ولكنَّه لمَّا لم يجد طريقاً أو وجهاً يستطيع به توثيق الشيخين وبعض من تابعهم ومالأهم، اضطرَّ للقول بعدالة كل الصحابة، فوقع فی مشكلة أكبر منها.

فارجع أخی القارىء إلى رشدک وابحث عن الحقيقة، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وستسأل فی قبرک ويوم القيامة عن معتقداتک، بل ستسأل حتى عن الأشخاص

---

۱- صحيح مسلم: ۱/ ۱۰۵

ص: ۶۱

الماضين والمعاصرين لک، إذا کان توليهم ديناً يدان به، فهيء جواباً يصنع لک طريقاً من قبرک للجنّة، فإنّک ستکون وحدک فی قبرک، ولن ينفعک فلان وفلان حباً ولا دفاعاً، بل النافع لک هو اتباعک للحق، والحقُّ بتصريح النبیّ صلی الله عليه و آله عند علیّ: «علیّ مع الحقّ والحقّ مع علیّ» (۱) ۱۰۵.

فانظر لحالک إن لم تکن معه، فمن الآن فسارع والتحق برکب علی عليه السلام قبل أن يعاجلک الفناء، وليس بعد ذلک إلا الحساب، وحينئذٍ لسان حال المتخلف عن رکب علیّ: رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صَالِحَاً (۲) ۱۰۶ النقطة الرابعة (۳) ۱۰۷: غزوات النبی صلی الله عليه و آله:

لقد استند فی الأدلة التی عرضها من آيات وروايات إلی ما ورد من مدح للصحابة فی ما بذلوه فی الغزوات مع النبی صلی الله عليه و آله من نفس ونفيس من مال وأولاد وعتاد، وهذا المدح من القرآن لهم

---

۱- مجمع الزوائد: ۷/ ۲۳۶ وقال: إنَّ رجاله رجال الصحيح إلا سعد بن شعيب، وهو اشتباه من النساخ فهو سعيد بن شعيب شيخ صالح صدوق راجع فی ترجمته تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانی: ۴/ ۴۸، سنن الترمذی: ۳/ ۱۶۶، جامع الأصول: ۹/ ۴۲۰، المستدرک: ۳/ ۱۳۴، والکثير من المصادر الأخری

۲- المؤمنون: ۱۰۰

۳- قد ذکر هذا الکاتب بعض غزوات النبی وبعض الآيات النازلة فيها، فراجع کتابه: صحبة رسول اللَّه صلی الله عليه و آله: ص ۲۳ وما بعدها

ص: ۶۲
قد خلَّدهم، وسدَّ طرق الطعن عليهم أو تخوينهم فى أدب التلمذة والتعلّم من النبى صلى الله عليه و آله.
ولنأخذ جولة سريعة حول تلك الآيات التى ادَّعى توافرها على هذا المعنى.
فهنا مواقف:

## الموقف الأوّل: ما يتعلّق بمعركة بدر:

### اشارة

ففى مرحلة التهيؤ لها كان المسلمون من جهة قد أخذتهم هيبة قريش وقوتها، وكثرة عدَّتِها وعتادها، ومن جهة أخرى: لابدَّ لهم من إثبات صحَّة موقفهم وتمسكهم بالدين الجديد.
فمن غلب عليه الجانب الأول ظهرت منه علائم النفاق والضعف والتخاذل.
وأمَّا من غلب عليه الجانب الثانى فقد أظهر البسالة والثبات.
فمثل المقداد الذى قال للنبى صلى الله عليه و آله: «إنَّا لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى:
اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون
، ولكن نقول لك: تقدما وقاتلا ونحن معكم» (۱) ۱۰۸...
فاقرأ ما نزل من آيات فى معركة بدر الكبرى؛ فقد كان جلُّ سورة الأنفال فى معركة بدر، وتأمل فى مضمون ما سنتلو عليك من آيات عبر مقاطع:

---

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۱۹۸

ص: ۶۳

## المقطع الأوّل منها: خروج المسلمين للحرب

قال تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِن المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ* يُجَادِلُونَكَ فِى الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُم كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُم يَنْظُرُونَ* وَإِذْ يَعِدُكُم اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُم وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ* لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ* الأنفال ۵- ۸.

ففى هذه الآيات صراحة ما بعدها صراحة فى أنَّ قسماً من الصحابة كان كارهاً للدخول فى حرب مع قريش، ومن المُبرِّرات ما ذكرناه سابقاً، ومنها ما هو معروف من أنَّهم لا رغبة لهم فى محاربة قومهم وإن كانوا كفاراً، ولذا عبَّرت الآية بقوله يُجَادِلُونَكَ، والمجادلة وقعت حول الحق، وهل الصحابة المتبعون للنبى فى كل أمورهم يجادلون فى الحق، أيها الكاتب المحترم؟؟

ومَنْ هم الكارهون: هل هم فريق من الكفار أم فريق من المؤمنين؟؟.

ويناسب هنا أن نذكر ما يؤيد كراهة البعض الخروج للقتال، فقد أخرج مسلم والحاكم وابن كثير والبيهقى حين أخبرهم الرسول بقدوم قافلة أبى سفيان فتكلَّم أبوبكر فأعرض صلى الله عليه و آله عنه،

ص: ۶۴

وتكلم عمر فأعرض صلى الله عليه و آله عنه، ثمّ قام سعد بن معاذ فتكلم، فسُرَّ صلى الله عليه و آله بقول سعد ونشَّطه (۱) ۱۰۹» ولكنَّ مثل صاحب تفسير الكشاف (۲) ۱۱۰ ممَّن خان الأمانة فقال: «فتكلم أبوبكر فأحسن وتكلم عمر فأحسن..» ومحا بتزويره إعراض النبى عنهما (۳) ۱۱۱.

وأمَّا الخليفة الثالث فلمَّا ساءت علاقته مع المصاهر له والمُنَصِّب له خليفةً فى شورى الستَّة عبدالرحمن بن عوف، لقيه الوليد فسأله عن عدم حضوره مجلس الخليفة، فأجابه: أن أبلغ عنى الخليفة أنِّى لم أغب عن بدر، ولم أفرَّ يوم عينين «أحد» (۴) ۱۱۲.

---

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۰۳- ۱۴۰۴ برقم ۱۷۷۹، المستدرك: ۳/ ۲۸۳ برقم ۵۱۰۴، السيرة النبويَّة لابن كثير: ۲/ ۳۹۱- ۳۹۵، دلائل النبوة للبيهقى: ۳/ ۱۰۶

۲- تفسير الكشاف: ۲/ ۱۹۸

۳- وقيل إنَّ ما قالاه فيه نظر لعزَّة قريش وأنَّها ما ذلت مذ عزَّت.. ونظير هذا الكلام الذى أوجب من النبى الإعراض عنهما، فلاحظ مغازى الواقدى: ۱/ ۴۸، ولكنَّ حبَّ الشىء يعمى ويصم!!

۴- تاريخ المدينة؛ ابن شبة ۳/ ۱۰۳۳، مسند البزار: ۲/ ۵۲، وفيه تبرير من عثمان لمَّا وصله كلامه بأن قال: أمَّا إنَّما لم أحضر بدراً لمكان ابنة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمَّا الفرار من معركة أحد فقد عفا اللَّه ورسوله عمن فرَّ من المعركة» واللطيف فى الأمر أنَّ الخليفة عثمان قد فرَّ عن محل المعركة حتى وصل إلى ينبع، فاحسب المسافة بين جبل أحد فى المدينة ومدينة ينبع، وعليك استنتاج مقدار شجاعة الخليفة وبسالته!! حتى قال له النبى لمَّا رجع: لقد ذهبت بها عريضة

ص: ۶۵

وفيه تعريض بغيابه عن بدر، والذى عبَّر عنه البعض بالفرار، وذلك لخروج كل المسلمين فيها أو أغلبهم، إذ كانت هى المعركة الفاصلة، وتعريض بفراره فى معركة أحد كما سيأتى.

هذا كله مع سبق وعد اللَّه لهم إمَّا اغتنام القافلة التى خرجوا لها- عِيْر قريش- وإمَّا النصر، ومع كل هذا لم تكن لهم رغبة فى ذلك.

فإن لم يكن ما صدر منهم حاكياً لامتناعٍ؛ فلا أقل من الشك فى وعد اللَّه لهم، فماذا تقول أيها الشيخ الجليل؟

ولِمَ غضضت النظر عن مثل هذه الآية ولم تذكرها؟؟

## المقطع الثانى: أجواء المعركة وما بعدها

قوله تعالى: «وَاعلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُم مِن شْىءٍ فَأنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنِ السَّبِيلِ إنْ كُنتُم آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىء قَدِيرٌ* إذْ أَنتُم بِالعدْوَةِ الدُّنيا وَهُم بِالعدْوَةِ القُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُم وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لْاختَلَفتُم فِى المِيعَادِ وَلكِن لِيَقْضِى اللَّهُ أَمْرَاً كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلَكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَة وَإنَّ اللَّه لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ* إذْ يُرِيكَهُم اللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُم كَثِيراً لَفَشِلتِم وَلَتَنَازَعْتُم فِى الأَمْرِ وَلكِنَّ اللَّه سَلَّمَ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَات الصُّدُور

ص: ۶۶

* وَإِذْ يُرِيكَهُم إذْ التَقَيْتُم فِی أَعْيُنِكُم قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُم فِی أَعْيُنِهم لِيَقضِی اللَّه أَمْراً كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَی اللَّهِ تَرْجعُ الْأُمُورُ*» الأنفال ۴۱- ۴۴.

فهـذه الآيات تبين وجوب الخمس فی ما ظفر به المسـلمون من غنائم، ولكنَّها وإن كانت نزلت فی غنائم معركـة بدر، ولكنَّ خصوص المورد لا يخصص الوارد، ولذا فهی تشمل كل ما يغنمه الإنسان من شیء، بقرينة قوله تعالی: «مِنْ شیءٍ» والغنيمة مطلق الفائدة.

ثـمَّ تـبين الآيـات موقـع المسـلمين بالنسـبة للمشـركين، وقرب ركـب قريش منهم، كمـا يـبين أثر الرؤيـا الـتی أراه اللَّه إياهـا فی نفـوس المسـلمين حيث قلَّلهم فی أعين المسـلمين، وكـثَّر المسـلمين فی أعينهم، ولو أراهم للمسـلمين علی مـا هم عليه فی الواقع لتنـازعوا فی الإقدام علی الخروج إليهم ومحاربتهم، وبالطبع نتيجة التنازع الفشل، والخلاصة بيان امتنان اللَّه عزَّ وجلَّ علی المسـلمين بأن سلَّمهم من ذاك المكروه، رغم أنَّهم كانوا مهيئين للتنازع والفشل لولا أنَّ اللَّه سلَّم ...

## المقطع الثالث: الأنفال .. حكمٌ وحكم

قوله تعالی: يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُل الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم وَأَطِيعُوا اللَّهَ

ص: ۶۷

وَرَسُولَهُ إنْ كُنتُم مُؤْمِنِين. (۱) ۱۱۳ وفی هـذه المقاطع من الآیات یبین القرآن حکم الأنفال، ولکنَّ الـذی یظهر من آخر الآیـة أنَّهم قد اختلفوا فیهـا وتخاصـموا- کما تشـیر له بعض الروایات- ولـذا قال فی آخرها فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْـلِحُوا ذَاتَ بَیْنِکُم، والأمر بالتقوی لیس إلا لإمکان فعل مخالف للتقوی ومنافٍ لها، وکـذا أمرهم بإصـلاح ذات البین لیس إلا لوقوع ما یوجب النزاع والتخاصم، ثمَّ التعقیب علی ذلک بوجوب إطاعة اللَّه ورسوله وأنَّ إیمانهم مشروط بالالتزام بتلک الإطاعة.

ومن الشواهـد علی وقوع التخـاصم بینهم مـا رواه أبو أمامـة قال: سألت عبادة ابن الصامت عن الأنفال؟ فقال: «فینا أصـحاب بـدر نزلت حین اختلفنا فی النفل، فساءت فیه أخلاقنا فانتزعه اللَّه من أیدینا وجعله لرسوله، فقسَّمه رسول اللَّه بین المسلمین» (۲) ۱۱۴.

بل فی بعضها ممَّا مرَّ من المصادر السابقة: أنَّ النبی أمر أحدهم بوضع السیف الذی غنمه فی موضع ما یأخذه المسلمون فقال: وضعته ورجعت وفی نفسی شیءٌ لا یعلمه إلا اللَّه!!

---

۱- الأنفال: ۱

۲- مسند أحمد: ۵/ ۳۲۲، السیرة النبویَّة: ۳/ ۲۱۹، مجمع الزوائد: ۷/ ۲۶، تفسیر ابن کثیر: ۲/ ۲۸۴، وتوجد نصوص أخری مقاربة لها فی الألفاظ

ص: ۶۸

فياترى ما هو الذى فى نفسه؟ أيها الكاتب!!؟

وفى روايـة أخرى له: قال الـذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحـد فيها نصـيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا...، وقال الذين أحدقوا برسول اللَّه: لستم بأحقّ بها منّا؛ نحن أحدقنا برسول اللَّه...» (۱) ۱۱۵

## المقطع الرابع: قضية الأسرى

قوله تعـالى: مَـا كَـانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ تُرِيـدُونَ عَرَضَ الـدُّنيَا واللَّهُ يُرِيـدُ الآخِرَةَ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَوْلَا كِتَابٌ من اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ الأنفال: ۶۷- ۶۸.

ومن الواضح أنَّ مفاد الآيهٔ اختلاف المسـلمين فى الأسرى، فبعض يقول: اقتلوهم، وبعض يقول: ائتسروهم، فبيَّن اللَّه عزَّ وجلَّ أنَّ الأسر إنَّما يكون بعد الإثخان فى الأرض لا قبله، ولذا بيَّن فى آيهٔ أخرى من سورهٔ محمد أنَّ حكمهم ضرب رقابهم أو الفداء (۲) ۱۱۶.

وبهذا رفع اللَّه اختلاف المسلمين حولهم، ثمَّ بيَّن أنَّ الأسر

---

۱- الدر المنثور: ۴/ ۱۰۵، وأخرى مثلها: ۴/ ۱۰۸

۲- وقـد أمر الرسول صـلى الله عليه و آله عليّاً بـأن يقتـل اثنين وهمـا عقبـهٔ بن أبى معيط والنضـر بن الحارث، وأخـذ الفـداء من ثمانيهٔ وستين رجلًا- تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۴۶

ص: ۶۹

موافق لعرض الدنيا لا للآخرة، وأنَّ سبق أمر اللَّه أوجب عدم استحقاقهم للعذاب العظيم فيما لو أقدموا على ما أرادوا.

فكيف كانوا كـذلك؟ وكيف صـدر منهم ذلك؟ ألم يكونوا يرجعون فى كل أمورهم للرسول؟ وهل المتبعون لخطى النبى صلى الله عليه و آله والذين لا يحيدون عنه قيد أنملة يختلفون كهذا الاختلاف؟

وفى هـذا المقطع أكبر دلالـة على أنَّ الرضا والعفو الـذى ادعاه الكاتب لكل أهل بدر ليس فى محله، إذ أنَّ بعضـهم أهل عرض الدنيا وآخرون من أهل الآخرة، كما أنَّ بعضهم راغب فى الغنائم لا فى عزَّة الإسلام، وبعضهم ليس إلا لأخذ الثأر والانتقام.

فكيف يُدَّعى شمول العفو والرضوان لهم كلهم؟

وكيف يدعى أنَّ لهم الحق فى أن يذنبوا ما شاؤا ويرتكبوا من المعاصى ما أرادوا حتى فى مستقبل أيامهم!!؟

والحق أنَّ التأمل فى آخر الآية يقضـى بأن يكون عفو اللَّه عنهم لكتاب سـبق منه فى ذلك، لمصـلحة غيبيَّة لا نعلمها، وقد خفيت علينا، والشاهد على هذا ظهور أمارات استحقاق العذاب العظيم.

## المقطع الخامس: صورة من المعركة

قوله تعـالى «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم ..».- إلى قوله تعـالى- «إِذْ يُغَشِّيكُم النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِن السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُم

ص: ۷۰

وَیُثَبِّت بِهِ الأَقْدَام» الأنفال: ۱۱.

ففی الشق الأول منها لمَّا طرقهم الخوف من کثرهٔ قریش استغاثوا باللَّه عزَّ وجلَّ فأمدَّهم اللَّه بألف، وقیل بثلاثهٔ آلاف، وقیل: إنَّ القراءهٔ آلاف من الملائکهٔ، فأورثهم ذلک اطمئناناً، ولذا غشیهم النعاس للأمن الذی حصَّلوا علیه، ولو لم یکن أمن لما غشیهم النعاس، فناموا فاحتلم أکثرهم وضربهم العطش فأمطرهم اللَّه حتی جری الوادی فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا من الماء ما شاؤا (۱) ۱۱۷.

وبعد کل هذه الجولهٔ فیما یتعلق بمعرکهٔ بدر لم یظهر لنا شیءٌ مما ادعاه هذا الکاتب من دلالهٔ الآیات علی رضا الله عزَّ وجلَّ عن کل الصحابهٔ مطلقاً ما مضی منهم وما سیأتی.

## الموقف الثانی: ما یتعلّق بمعرکهٔ أحد:

### اشارهٔ

لقد أنزل اللَّه فی ما یتعلق بمعرکهٔ أُحُد ما یقارب ستین آیهٔ من سورهٔ آل‌عمران- کما ذکر الکاتب- ولکنَّه لم یذکر من تلک الستین إلا ثلاث آیات أو أربع، وکأنَّها لیس فیها أمر ذو أهمیَّهٔ للکاتب أو ممَّا یمس الصحابهٔ فأهمل ذکرها؟ ولعل فیها ما لا یوافق غرضه من الکتاب؟

أو أنَّ فیها ما یوجب نقض غرضه، خاصهٔ مع ضمِّ الروایات

---

۱- تفسیر الکشاف: ۲/ ۲۰۳ بتصرف

ص: ٧١

المتعلقة بمعركة أحد؟

فَلِمَ- يا أخى الكاتب- تحاول إخفاء الحقائق التاريخيَّة المتعلقة بالموضوع؟!

وهب أنَّ هذا تمَّ لك وقبلناه؛ ولكن ما الموجب لإخفاء بعض الروايات المتوافرة فى الصحاح والأسانيد؛ والمُفَسِّرة لبعض الآيات النازلة حول المعركة؟

ولو قبلنا أنَّ كتب المؤرخين والسِّيَر كانت كلها أساطير بنظرك- وإن كان نظراً قاصراً وغير ذى بعد علمى- فهل أنَّ صحيحى البخارى ومسلم أساطير؟؟ (١) ١١٨

ل أنَّ كل كتب الحديث الأخرى أساطير أيضاً؟

وهل يسوغ فى البحث العلمى أن يرمى الباحث كل مادَّة علميَّة لا توافق رغباته وآراءه بأنَّها أساطير وترهات وخرافات؟؟

فإلى متى إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه ياأيها المدَّعون الاتباع للسنَّة؟؟.

## المقطع الأوّل: مقدّمات المعركة:

لمَّا أن انهزمت قريش فى معركة بدر اتَّعدت (٢) ١١٩ لطلب الثأر؛

---

١- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبة الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ١جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ١، ١٤٢٥ ه. ق..

٢- أى أعطت وعداً على نفسها وعهداً منها، وأوعدت المسلمين بالعودة لقتالهم، ثأراً لما أصابهم من معركة بدر

ص: ٧٢

فجمعت عـدَّتها وعَتَادِهَـا وتهيَّأت للثـأر، فكتب العبـاس للنبى صـلى الله عليه و آله بـذلك، فكـان رأى النبى صـلى الله عليه و آله أن لا يخرج من المدينـة لرؤيـا رآها، ولكنَّ الأنصار أشارت عليه بالخروج، ولمَّا همَّ صـلى الله عليه و آله بـذلك ولبس لَامَـةَ (١) ١٢٠ حربه ردَّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج؛ فقال: الآن وقـد لَبِستُ لَامَةَ حربى ولا ينبغى لنبى إذا لبسـها أن ينزعها حتى يقاتل ويفتح عليه (٢) ١٢١.

وعلى هـذا الأساس خرج الرسول صـلى الله عليه و آله فى أَلْفٍ من أصـحابه، ولمَّا وصـلوا منطقـة خارج المدينة انخذل عنه عبداللَّه بن أبى بن سـلول فى ثلث القوم، ولمَّا وصل النبى صلى الله عليه و آله جبل أُحُد تحصَّن فى سبعمائة من رجاله، وجعل خمسين رجلًا على الجبل وأمرهم بالثبات سواء انتصرنا أم هُزِمْنَا.

ولكنهم لمَّا رأوا المسـلمين قـد انتصـروا ودخلوا على المشـركين يغنمون من أموالهم نزلواعن الجبـل خلافـاً لأـمر النبى، وبقى اثنان أو ماينيف، فلمارأى المشـركون ذلك كرُّوا على المسـلمين من فوق الجبل فجرى ماجرى على المسـلمين من ويلات، فضُرِب النبى وشجَّ رأسه وكسرت رباعيته وأغمى عليه، وقد فرَّ المسلمون لذلك ... (٣) ١٢٢.

---

١- اللامة والَّلأْمَةُ: أداة الحرب من درع ومغفر وسيف و.. و

٢- تاريخ اليعقوبى: ٢/ ٤٧

٣- صحيح البخارى: ٤/ ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧، أنساب الأشراف؛ للبلاذرى: ١/ ٣١٨ وغيرها من المصادر

ص: ۷۳

## المقطع الثانی: خدیعهٔ الاعلان عن موت النبی صلی الله علیه و آله

قوله تعالی: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَی أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَی عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِی اللَّهُ الشَّاكِرِين آل عمران: ۱۴۴.

کان المسلمون قد بایعوا النبی صلی الله علیه و آله علی أن ینصروه ولا یخذلوه فی موقف من المواقف، وقد سبق منّا بیان خذلان بعضهم له بالکلام قبل معرکهٔ بدر.

وأمّا فی معرکهٔ أحد ففیها ظهرت خفایا نفوس لم تکن لتظهر لولا امتحان اللّه لهم بهذه المعرکهٔ، فاعلم أنَّه لمّا رمی ابن قمئهٔ الحارثی رسولَ اللّه بحجر فکسر رباعیَّته وشجَّ وجهه تقدَّم لیقتله، فذب عنه مصعب بن عمیر حتی قتله ابن قمئهٔ هذا، فظنَّ أنَّه قتل النبی فنادی- وقیل: إنَّ المنادی هو الشیطان- أنْ: «قُتِلَ محمدٌ» ففشا فی الناس خبر قتله فانکفأوا فناداهم رسول اللّه: إلیَّ یا عباد اللّه.. فرجعت له فئهٔ فَلَامَهُم علی هربهم (۱) ۱۲۳ فقالوا: یارسول اللّه أتانا خبر قتلک فرعبت قلوبنا فولَّینا مدبِرِین.

وقد روی أنَّه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمین: لیت

---

۱- وفی تفسیر الطبری ۴/ ۱۲۱ أشار لما فیه تأنیب اللّه عباده الذین فَرُّوا عن العدو یوم أحد وترکوا قتالهم

ص: ۷۴

عبداللَّه بن أبی یأخذ لنا أماناً من أبی سفیان (۱) ۱۲۴، ولم یَرُق لهـذا المُفَسِّر أن یـذکر من هم أولئک البعض، ولکن فی بعض کتب السیر أنَّهم کانوا جماعهٔ من کبار الصحابهٔ.

وقد نقل السیوطی فی تفسیره للآیهٔ فقال: ذلک یوم أُحُد حین أصابهم ما أصابهم من القتل والجرح، وتداعوا نبیَّ اللَّه؟ قالوا: «قد قُتل»، وقال جماعهٔ منهم: لو کان نبیًّا ما قُتل، وقال أناس من عِلْیَهِٔ أصحاب النبی صلی الله علیه و آله: قاتلوا علی ما قاتل علیه نبیُّکم حتی یفتح اللَّه علیکم أو تلحقوا به.

وذکر لنـا أنَّ رجلًا من المهاجرین مرَّ علی رجل من الأنصار یتخبط فی دمه، فقال له: أشـعرت أنَّ محمـداً قـد قُتِل؟ فقال الأنصاری: إن کان محمَّدٌ قد قُتِل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دینکم، فأنزل اللَّه تعالی: وَمَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِل...

یقول: ارتددتم بعد إیمانکم (۲) ۱۲۵.

## المقطع الثالث: غلبهٔ المسلمین لولا ... شواهد بلسان الفارّین

قال تعالی: وَلَقَد صَدَقَکُم اللَّهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُم بِإذْنِه

---

۱- تفسیر الکشاف: ۱/ ۴۲۲- ۴۲۳، تاریخ الطبری: ۲/ ۱۷۹، مغازی الواقدی: ۱/ ۲۸۰، تفسیر ابن کثیر: ۱/ ۶۴۹، والسیرهٔ النبویهٔ له: ۳/ ۶۸

۲- الدر المنثور: ۲/ ۳۳۵

ص: ۷۵

حَتَّى إذَا فَشِلْتُم وَتَنَازَعْتُم فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَد عَفَا عَنْكُم وَاللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤمِنِينَ* إذْ تُصعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِى أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غَمَّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلَا مَا أَصَابَكُم وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ* آل عمران:

۱۵۲- ۱۵۳.

فقد بيَّنت الآيات ظهور المسلمين على المشركين، وكاد النصر أن يكمل ولكنَّ رؤية المسلمين للغنائم أعجلهم بترك أماكنهم، فتنازعوا الترك وعدمه (۱) ۱۲۶، وكانت كلمة الفصل بنزولهم عن الجبل الذى كان يكوِّن ظهراً للنبى يحميه عن الأعداء، فما إن ارتفعت الحماية عن النبى صلى الله عليه و آله بعصيان المسلمين لأوامر النبىِّ حيث رأوا ما يُحبّون من الغنائم، حتى أجهز الكفار عليهم بأن تحوَّطوهم من أعلى الجبل بقيادة خالد بن الوليد، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عن أولئك العصاة وتفضل عليهم بالمغفرة (۲) ۱۲۷.

---

۱- قالوا: واللَّه لنأتين الناس فنصيبَنَّ من الغنائم، فعصوا وانطلقوا ولم يبق منهم إلا عبد اللَّه ومعه دون العشرة، صحيح البخارى: ۴/ ۱۴۸۶ حديث ۳۸۱۷

۲- ومما يؤسف له أنَّ هذا الكاتب لا يقتصر تقطيعه للنصوص والشواهد على كتب التاريخ والسيرة، بل تعدى حتى بالنسبة للقرآن، فنجده هنا يستقطع من الآية أولها وآخرها، ويكتفى منها بقوله ولقد عفا عنكم، ولكن لا يغيب عن الأخ القارىء أنَّ العفو من الأمور ذات التعلق، فلو سأله شخص: عن أى شىءٍ عفا اللَّه عنهم، فإنَّ العفو فرع تحقق المعفو عنه، ولابدَّ أن يكون ذلك عن ذنب صدر منهم؟ كل هذه الاستفسارات حاول الكاتب إخفاءها عن القارىء

ص: ۷۶

ثمَّ بيَّنت موجب العفو عنهم، وهو الـذنب الـذى ارتكبوه فى المعركـة ولمَّا تنتهِ بعـدُ، ألا وهو فرارهم من الزحف وهو المعبَّر عنه بقوله: تُصْعِدُون وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِى أُخْرَاكُم.

ولعلَّك لا تصـدِّق بصدور هذا الذنب منهم، والعلَّة هى كونهم صـحابة (۱) ۱۲۸، فهاك بعض الشواهـد على ما ذكرنا من الـذنب (۲) ۱۲۹ والمعصية:

۱- قال محمـد بن مسـلمة: «سـمعتْ أذناى وأبصـرتْ عيناى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله يقول يومئذٍ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم يلوون عليه وإنَّه ليقول: إلىَّ يا فلان، إلىَّ يا فلان، أنا رسول اللَّه! فما شرح منهما واحد عليه ومضيا (۳) ۱۳۰.

---

۱- والعجب لا ـ ينقضـى منهم! إذ كيف يحاولون إثبات صـدق صـحبتهم من مثل هـذه الآيـة بتصـريحها بالعفو عنهم، ويثبتون من جهة أخرى أنَّهم مفعوٌّ عنهم لكونهم من الصحابة، ألا يلزم الدور الباطل من هذا الاستدلال؟؟

۲- فقـد كـان الصـحابة أنفسـهم يعـدونه- على بسـاطتهم- ذنبـاً ويعترفون به، فمـا الـداعى لـك أيها الكاتب لأن تنفى عنهم ما يثبتونه لأنفسهم؟

۳- شرح نهج البلاغة لابن أبى‌الحديد المعتزلى: ۱۵/ ۲۳- ۲۴ عن مغازى الواقدى

ص: ۷۷

وفى هذا أكبر شاهد على تحقق الفرار من بعض الصحابة، والفرار من الزحف يعدُّ من الكبائر، بل من أكبر الكبائر.

۲- فقد روت أمُّ المؤمنين عائشة عن أبيها: «كان أبوبكر- إذا ذكر يوم أحد- بكى ثمَّ قال: ذاك يوم طلحة... ثمَّ أنشأ يحدث قال: كنتُ أول من فاء (۱) ۱۳۱ يوم أحد.. فرأيت رجلًا يقاتل مع رسول اللّه فقلت: كنْ طلحة التيمى؛ حيث فاتنى مافاتنى، يكون رجلًا من قومى...» (۲) ۱۳۲، ولا يخفى أنَّه مع اعترافه بالفرار يتمنى أن يكون المنافح عن رسول الله هو طلحة بن عبيد اللّه التيمى لأنَّه من قومه، ولكنَّ أمنيته لم تتحقق فقد كان طلحة من الفارِّين أيضاً، فاستمع لهذا الخبر لتعرف ذلك:

۳- «لمَّا دوَّن عمر الدواوين جاء طلحة بنفر من تيم يستقرض

---

۱- فاء: رجع

۲- الطبقات لابن سعد: ۳/ ۱۵۵، السيرة النبوية لابن كثير: ۳/ ۵۸، كنز العمال: ۱۰/ ۲۶۸، البداية والنهاية لابن كثير: ۴/ ۲۹- ۳۲، تاريخ الإسلام للذهبى: ص ۱۹۱، المستدرك للحاكم: ۳/ ۲۷، تاريخ الخميس: ۱/ ۴۳۱، وغيرها من المصادر، والمناسب ذكره أنَّهم يروون: «أنَّ أبابكر أشجع الناس لأنَّه ثبت مع النبى مدافعاً عنه يوم بدر، فى عريش النبى» مجمع الزوائد ۹/ ۴۶۱، وقد ينسبون الرواية إلى على عليه السلام حتى تكون أقرب للقبول، ولكن للأسف فالرواية قد رواها بلا إسناد، وقال عنها الهيثمى: فيها من لم أعرفه، بل يكذبها صحيحة ابن إسحاق من أنَّ سعد بن معاذ هو الذى كان يحرسه يوم بدر؛ عيون الأثر لابن سيد الناس ۱/ ۲۵۸، فتأمل!!

ص: ۷۸

لهم، وجاء أنصاری بغلام مصفَّر سقيم، فسأل عنه عمر فأُخبِر أنَّه البراء بن أنس بن النضر؛ ففرض له أربعة آلاف، وفرض لأصحاب طلحة ستمائة، فاعترض طلحة، فأجابه عمر: إنی رأيت أبا هذا جاء يوم أُحُد وأنا وأبوبكر قد تحدثنا: أنَّ رسول اللَّه قد قُتِل؛ فقال: يا أبا بكر ويا عمر: مالی أراكما جالسين؟ إن كان رسول اللَّهِ قُتل فإنَّ اللَّه حیّ لا يموت» (۱) ۱۳۳.

وقال أنس بن مالك: «إنَّه لمَّا انتهی إلی عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدفی رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل محمد رسول اللَّه (۲) ۱۳۴.

۴- كان عثمان ممَّن فرَّ وجاء بعد ثلاثة أيام من الواقعة فقال له رسول‌اللَّه صلی الله عليه و آله: لقد ذَهَبْتَ بها عريضة (۳) ۱۳۵.

---

۱- تاريخ الطبری: ۲/ ۱۹۹، لباب الآداب: ص ۱۷۹

۲- الكامل فی التاريخ لعز الدين ابن الأثير: ۲/ ۱۵۶، دلائل النبوة: ۳/ ۲۴۵، وقد نصَّ فی مجمع الزوائد علی أنَّ من الفارِّين أبو بكر وعمر فراجع: ۹/ ۱۲۴ وذلك بإخراج الطبرانی والبزار، كما أنَّ رجال الثانی هم رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق.

أقول: وليس يضر ذلك عندهم ما دام اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عنهم وغفر لهم تلك الخطيئة، وهذا ليس مطلبنا، ولكن يكفينا منه ثبوت أنَّ من الصحابة من لم يكن بتلك المرتبة التی تنسب له من قبل المتأخرين عن تلك الحقبة الزمنيَّة، إذ مع اعترافهم أنفسهم بذلك فما الداعی لإنكارنا وقوعه منهم؟

۳- الكامل فی التاريخ: ۴/ ۲۸، تاريخ الطبری: ۲/ ۶۹، السيرة الحلبيَّة للحلبی: ۲/ ۵۰۴، وقيل بأنَّه وصل فی فراره إلی ينبع وكما حدَّث هو عن نفسه

ص: ۷۹

۵- قال الذهبی: انهزم الناس عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یوم أحد فبقی معه أحد عشر رجلًا، وقال: أُفرِد یوم أحد فی سبعهٔ نفر من الأنصار واثنین من المهاجرین (۱) ۱۳۶، وقیل: معهم سهل بن حنیف.

۶- أخفی عثمان بن عفَّان أحد جنود قریش وهو معاویهٔ بن المغیرهٔ بن أبی العاص «ابن عمه» وقد أخبر اللَّه نبیَّه بذلک فأصدر أوامره بجلبه وقتله، ولمَّا جاءوا به ادَّعی عثمان أنَّه جاء یطلب الأمان له! فأعطاه الرسول الأمان له ثلاثهٔ أیَّام، لکنَّه لم یخرج وبقی ثلاثاً یستعلم أخبار الرسول لیأتی بها قریشاً، ولما عاد الرسول صلی الله علیه و آله فی الیوم الرابع فرَّ معاویهٔ، فأدرکه زید بن حارثهٔ وعمار بن یاسر فرمیاه حتی قتلاه (۲) ۱۳۷.

۷- ذکر الحاکم عن سعد: «لمَّا جال الناس عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تلک الجولهٔ تنحیتُ، فقلتُ: أذود عن نفسی، فإمَّا أن أُستَشْهد وإمَّا أن أنجو.. إلی أن قال: فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: أین کنتَ الیوم یا سعدُ؟ فقلتُ: حیث رأیتَ» (۳) ۱۳۸.

وغیرها الکثیر من المواقف والحوادث التی یتنزه القلم عن

---

۱- تاریخ الإسلام للذهبی ص ۱۹۱، صحیح مسلم: ۵/ ۱۷۸، أقول: کان الاثنان من المهاجرین هما علی ابن أبی طالب وسهل بن حنیف، ولکن أقلامهم تأبی عن ذکر ذلک، فلاحظ الرسالهٔ العثمانیَّهٔ ص ۲۳۹، وکذا شرح النهج: ۱۳/ ۲۹۳

۲- النزاع والتخاصم: ص ۲۰، السیرهٔ الحلبیَّهٔ: ۲/ ۲۶۰

۳- المستدرک للحاکم النیسابوری: ۳/ ۲۶

ص: ۸۰

ذكرها، ويترفّع عن التعرّض لها، لوضوحها ومعرفة كل أحد بها.

ولا- ينقضى العجب من هذا الكاتب وأمثاله حيث يحاولون التصفيق بيد واحدة، فيرموا عن غير قوسهم، ويركبوا غير مركبهم، كل ذلك انتصاراً لأقوام ذهبوا بأعمالهم ولهم حسابهم الخاص عند اللَّه.

ولعلَّهم أسفوا لمَّا لم يشاركوهم فى مثل تلك الأمور، فهبّوا للدفاع عنهم حتى ينالوا ما نالوا؟؟

## المقطع الرابع: القرآن يتحدّث عن الفارّين

قوله تعالى: إنَّ الذِّينَ تَوَلَّوْا مِنْكُم يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ إنَّمَا استَزَلَّهُم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُم إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم الأنفال: ۱۵۵.

فإنَّ الآية أصرح ممَّا قبلها فى بيان تحقق الفرار من الزحف خوفاً من المشركين، ففى تفسير الكشاف التصريح بأنَّه لم يبقَ مع الرسول إلا سبعة أو أحد عشر أو اثنا عشر..، وفى دلائل النبوة للبيهقى: عندما سُئِلَ صلى الله عليه و آله عن الفارِّين من أرض المعركة يومئذٍ، قال: كفر عامَّتهم (۱) ۱۳۹.

وعلى كلّ حال؛ فليس غرضنا بيان حكمهم، من حيث

---

۱- دلائل النبوة: ۳/ ۲۸۳

ص: ۸۱

الثبات أمام العدو أو الفرار، ولكنَّها روايات تُذكر فى الباب فأحببنا ذكرها، تنويهاً على حال الصحابة، فى مقابل ما دلَّس به هذا الكاتب على القُرَّاء من إخفاء ما ينبغى إظهاره، أو التمسک بما هو ظاهر من صفاتهم لكل أحد وتعميمها على جميعهم، وكأنَّه ليس يوجد غيره من صفات وأحوال.

وأمَّا آخر هذا المقطع، والذى اقتطع الكاتب مثيله من آية أخرى، وهو صدور العفو من ساحة القدس الإلهى- وهو العفوُّ الكريم- فهو مزيد تفضل ومنَّة من اللَّه عزَّ وجلَّ عليهم، لعلَّهم يتَّقُون فى مستقبل أيامهم ولا- يرجعوا إلى مثلها، وذلک من حيث إنَّ الشيطان قد استزلَّهم فتابعوه، خاصة وأنَّهم قد سبق منهم بيعته صلى الله عليه و آله على أن ينصروه ويؤازروه وأن لايخذلوه، فكان ذلک منهم خروجاً عن عهدهم، ونقضاً له، ومع كلِّ هذا فقد عفا اللَّه عنهم.

والسؤال الذى أثاره هذاالكاتب، ونحتاج للإجابة عليه هو:

أنَّ عفواللَّه ومغفرته عنهم عفوٌ عن كل ذنوبهم حتى المستقبليَّة منها، فضلًا عن الماضية فيما قبل المعركة؟ أم أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم فى هذه المعركة من الفرار الذى صدر منهم ليس إلا؟

إنَّ الذى يُستفاد بل يَنُصُّ عليه بعض المفسرين كتفسير ابن كثير والكشاف والبيضاوى والرازى، بل الجلُّ منهم: أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم هنا فى هذه الواقعة، إذن فتعدية العفو لغيره من المعارك

ص: ۸۲

أو المواقف- فضلًا عمّا يصدر بعدها فى مستقبل أيّامهم- ليس منظوراً إليه فى الآية إطلاقاً.

فمن يـدّعيه يُحمِّل النص مـا لاـ يتحمـل، بـل ينسب إلى القرآن وإلى الرسول، بل إلى اللَّه عزَّ وجلَّ ما لم يقله وما لم يُرِده، بلا دليل أو بينة وبرهان مبين.

وما الداعى إلى أن يعفو عنهم فيما يصدر عنهم مستقبلًا؟ وهل هو إلا تغريرٌ بهم وإلقاء لهم فى المعصية؟ وبعد ذلك، ما فائدة التكليف لهم؟ إذ أنَّهم معفوٌّ عنهم فى كل ما يصدر أو سيصدر عنهم مستقبلًا، فهم فى الجنَّة على كل حال أحسنوا أو أساؤا؟!.

وأى عاقل يرى أنَّ عفو السيِّد عن مولاه وعبده فى ذنبٍ صدر منه فى يومٍ ما بأنَّه عفوٌ صدر منه فى حقّ كلّ ذنوب عبده ذاك؛ السابقة والمستقبلة؟؟

حاشا وكلّا للعقلاء أن يدَّعُوا ذلك!

## المقطع الخامس: ردّة الفعل المعاكسة

قوله تعـالى: الـذِّينَ اسـتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْـدِ مَا أَصَابَهُم القَرْحُ لِلـذِّينِ أَحْسَـنُوا مِنْهُم وَاتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ* الـذِّينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوهُم فزَادَهُم إيمَانَاً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ* آلعمران: ۱۷۲- ۱۷۳.

ص: ۸۳

لمّا رجع المسلمون من أُحُد سمعوا بأنَّ أبا سفيان يهمُّ بالرجوع لهم وإعادة الكرَّة عليهم في المدينة، فتهيأ النبى صلى الله عليه و آله للقتال وعزَّم بأصحابه أن يهبُّوا معه، فخرجوا بعد لأْيٍ شديد، وامتناع من البعض (۱) ۱۴۰، والبعض استجاب مباشرةً، فخرجوا وخيَّموا فى حمراء الأسد، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد أرعب قلوب المشركين فرجعوا إلى مكَّة، ولم يتقدموا إلى المسلمين، فرجع المسلمون سالمين فى أنفسهم، وقد تفضل اللَّه عليهم بالنعم، واختلف فيها:

فقيل هى السلامة، وقيل التجارة التى ربحوها، وقيل رضا اللَّه وعفوه عنهم، وقيل إرعاب المشركين...

وعلى كلّ حال، فالآية متصلة بما قبلها، فالاسم الموصول هنا راجع للمؤمنين المذكورين فى الآية السابقة، فهم الذين استجابوا للَّه وللرسول، ولذا قال النبى صلى الله عليه و آله: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة بالأمس.

ولكنَّ تتمة الآية فيها مزيد اختصاص لجماعة منهم- فى ما لو بنينا على أنَّ كلمة «منهم» للتبعيض- فمفادها أنَّ الذين أحسنوا واتقوا من الذين استجابوا، لا كل الذين استجابوا، فهى تتعرض لحكم مَنْ أحسن واتقى ممَّن استجاب فقط، وهذا هو المعنى

---

۱- إذ أنَّ من أخبرهم بعزم أبى سفيان- وهو أبونعيم وقيل غيره وهو المقصود من كلمة الناس- الرجوع، قد أرعبهم منه وخوَّفهم لقاءه، علاوة على كثرة الجرحى بينهم

ص: ۸۴

الظاهر منها.

خلافاً لما ذكره صاحب الكشَّاف والفخر الرازى وغيرهم من دعوى إرادة التبيين، وأنَّ كل الذين استجابوا أحسنوا واتقوا، فهى دعوى بلا برهان، إذ أنَّ إحسانهم مشكوك فيه، خاصة بعد أن صدر منهم ما صدر فى الأمس المذكور وهو يوم أُحُد، ولذا ذكر فى الكشاف أنَّ النبى صلى الله عليه و آله قال لهم: سوف أخرج، وأقاتلهم، ولو كنت وحدى: «حسبنا اللَّه ونعم الوكيل».

## الموقف الثالث: ما يتعلق بمعركة الخندق:

### اشارة

وقد سُمِّيت الأحزاب لتحزب قريش والقبائل واليهود، وكانوا نحو عشرة آلاف فارس، والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف، وفى هذه المعركة الكبيرة نزل ما يصل إلى تسع آيات من سورة الأحزاب.

ولكنَّ هذا الكاتب- كعادته- اقتصر منها على ثلاث آيات وهى مما يوافق هواه، وترك ما يمكن أن يخدش بكرامة مَنْ ينافح عنهم مستميتاً بماله ودمه وقلمه وفكره، فاستمعْ لهذه الآيات لترى صحَّة دعوانا وكذب دعواه على إطلاقها:

### المقطع الأوَّل: صور من نعم اللَّه عزّوجلّ

قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا اذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إذ جَاءَتْكُم جُنُودٌ فَأرسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحَاً وَجُنُودَاً لَمْ تَرَوْهَا وكَانَ

ص: ۸۵

اللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِـيرًاً* إِذْ جَـاءُوكُم مِن فَوْقِكُم وَمِن أَسْفَلَ مِنكُم وإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَـارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَـاجِر وَتَظُنُّونَ بِـاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابتُلِى المُؤمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالًا شَدِيدَاً* الأحزاب: ۱۱.

فی هـذه الآیات تـذکیر من اللَّه عزَّ وجلَّ بنعمته علی المسـلمین بأن أعانهم علی ردِّ تلک الجنود حیث جاءوهم من جانبین: من الأعلی وهم الیهود والقبائل، ومن الأسفل وهم قریش.

کما بیَّنت الآیات الحالهٔ النفسیَّهٔ للمسلمین من خلال الفزع الذی انتابهم بصورتین: زاغت الأبصار؛ أی مَالَتْ وکادت أن تأفل وتطیر من محلها، وبلغت القلوب الحناجر، کنایهً عن قرب الموت لهم.

فظنوا ظنَّ السوء بـالنبی ونبوَّهٔ النبی فقـالوا: لو کـان نبی حقٍّ لمـا خـذله ربُّه، وهو ظنُّ سوء بـاللَّه عزَّ وجلَّ، وشکٌّ فی حقیَّهٔ رسالـهٔ النبی صلی الله علیه و آله.

وإلیک شاهـداً علی ذلک الخوف والقلق النفسـی والشک الـذی انتابهم: فقد ذکر البیهقی (۱) ۱۴۱ فی سـننه الکبری عن حذیفهٔ: قال رجل: لو أدرکتُ رسول اللَّه قاتلتُ معه أو أبلیتُ، فقال له

---

۱- سنن البیهقی: ۹/ ۱۴۸

ص: ۸۶

حذيفة: أنتَ كنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول اللّه ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة ومرَّ صلى الله عليه و آله فقال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة، فلم يجبه منّا أحدٌ، ثمَّ نادى الثانية ثمَّ قال: يا حذيفة قم فأْتِنَا بخبر القوم، فلم أجد بدّاً من ذلك، وقد ذكر اسمي. وقد رواه مسلم أيضاً (۱) ۱۴۲.

ومن عباراتهم قول معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر الآن أن نذهب إلى الغائط (۲) ۱۴۳.

وعلى هذا فقوله تعالى: وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا خطاب للذين آمنوا، هذا مع أنَّ منهم الثابت القلب والقدم، هذه طائفة خاطبها القرآن، والطائفة الثانية الذين هم على حرفٍ، والثالثة هم المنافقون الذين لم يكن الإيمان إلا بألسنتهم.

فأمّا قول المنافقين؛ فقد حكاه القرآن، وأمّا قول مرضى القلوب فهو ما حكيناه سابقاً عن معتب وأمثاله، وأمّا قول المؤمنين فهو: أنَّنا مُبْتَلَوْن من اللّه في هذه الوقعة، ولذا حكى عنهم القرآن.. وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدَاً..

وأمّا ضعاف القلوب فهم الذين قالوا: إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِي بِعَورَةٍ إن يُرِيدُونَ إلَّا فِرَارَاً..

---

۱- صحيح مسلم: ۳/ ۱۴۱۴

۲- تفسير الكشاف: ۳/ ۵۲۶

ص: ٨٧

## المقطع الثانی: وكان عهد اللَّه مسؤولًا

قوله تعالی: وَلَقَد کَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا یُوَلُّون الأَدْبَارَ وَکَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا* قُلْ لَنْ یَنْفَعَکُم الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُم مِن المَوتِ أَوْ القَتْلِ وَإذاً لَا تُمَتَّعُونَ إلَّا قَلِیلًا* الأحزاب: ١۵- ١۶.

من الأمور التی أوجبت زیادهٔ خوف المسلمین ووجیبهم هو مخالفهٔ بعض القبائل لهدنتها مع النبیِّ، ونقضها للعهد المضروب منهم للنبیِّ بأن لا یحاربوه ولا ینتصروا لغیره علیه، وهذا الذی أوجب لهم الخوف ونقض ما عاهدوا رسولاللَّه فی بیعتهم له بعد تراجعهم له فی أحد حیث أخذ العهد علیهم أن لا یفروا ثانیهٔ وإلا نزل بهم العذاب، وبأن لا یولُّوا الأدبار، ولا یفرُّوا من الزحف، والتقریع والإیعاد من اللَّه لهم واضح من قوله: وَکَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا، فإنَّهم سیسألون عن ذلک العهد، وما کان منهم اتجاهه، وهل حافظوا علیه أم نقضوه وجعلوه وراء ظهورهم؟

ثمَّ یعقب علی ذلک بأنَّ الفرار الذی صدر منکم لن ینفعکم، فإنَّ الموت لیس ممَّا یختصُّ تحققه بأرض القتال والمعرکهٔ، بل هو بید اللَّه یجعله حیث یشاء ویوقعه بمن شاء وقتما یشاء.

ونضیف هنا توضیحاً للإشکال: إنَّ الذین عاهدهم اللَّه علی عدم الفرار هل هم الصحابهٔ أم المنافقون أم الکفار؟ وهل أنَّ الفرار وقع منهم أم لا؟ وهل حصَّلوا علی ما أمَّلوا من الفرار أم لا؟

ص: ۸۸

نرجو من الکاتب أن یتأمل فی النصوص القرآنیة جیداً قبل أن تمسک یده بالقلم مرَّة أخری.

## المقطع الثالث: من الذی لم یؤمن واقعاً؟!

قوله تعالی: قَدْ یَعْلَم اللَّه المُعَوِّقِینَ مِنْکُم وَالقَـائِلِین لإخْوَانِهِم هَلُمَّ إلَیْنَا وَلَا یَأْتُونَ البَأْسَ إلَّا قَلِیلًا* أَشِحَّةً عَلَیکُم فَإذَا جَاءَ الخَوْف رَأَیْتَهُم یَنْظُرُونَ إلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُم کَالذِّی یُغْشَی عَلَیْهِ مِن المَوْتِ فَإذَا ذَهَبَ الخَوْف سَلَقُوکُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَی الخَیْر أُولَئِکَ لَمْ یُؤمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُم وَکَان ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرَاً الأحزاب: ۱۸– ۱۹.

وحقیقة الأمر أنَّ اللَّه یعلم حال هذه الطائفة من الصحابة، فهم ظاهراً مؤمنون، بل یتظاهرون بذلک أمام المؤمنین، ولکنَّهم إنَّما یسایرون المؤمنین لتثبیطهم عن الحرب ومنعهم من الخروج مع الرسول صلی الله علیه و آله لمقاتلة المشرکین بعد ذلک، وکانوا یقولون: ما کان محمدٌ وأصحابه إلا أکلة رأس، ولو کانوا لحماً لأکلهم أبو سفیان.

فکانوا یستدعون ضعاف القلوب من الصحابة إلیهم ویثبطونهم عن القتال، لکنَّ کلَّ هذا لا یعنی أنَّهم لم یکونوا من الصحابة ظاهراً، خاصة علی معنی الصحبة عندکم، وهو: من رأی النبی زماناً، أو مَن رآه وصحبه وروی عنه.

وکذا علی المعنی المختار لک أیها الکاتب بأنَّ الصحابی من آمن

ص: ۸۹

بالنبی وصحبه ولو لفترهٔ، ولا شکّ أنَّ هؤلاء ممَّن رآه وآمن به، ولکن هکذا تکون القلوب المریضهٔ التی لم تؤثّر فیها الصحبهٔ، وکما وصفها القرآن فقد قال تعالی حاکیاً عنهم: وَإِذَا لَقُوا الذِّینَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَی شَیَاطِینِهِم قَالُوا إنَّا مَعَکُم إِنَّمَا نَحْنُ مَسْتَهْزِؤُون (۱) ۱۴۴، فتراهم یُسایِرون المؤمنین إلا ـ أنَّ قلوبهم لیست معهم، ویخافون أن یتخطفهم الموت، والمعبَّر عنه فی الآیات بالبأس، فلا یقدمون علیه إلا للدفاع عن أنفسهم.

ولکن بعد انتهاء المعرکهٔ یُحادُّون المؤمنین بألسنتهم طلباً للغنائم، وکأنَّهم قاتلوا معهم، ولذا أخبر فی آخر الآیهٔ بأنَّهم یُظهرون لکم الإیمان، ولکنَّهم لیسوا مؤمنین واقعاً: أُولَئِکَ لَمْ یُؤمِنُوا.

## المقطع الرابع: من آمن وصدّق وآزر؟

قوله تعالی: وَلَمَّا رَأَی المُؤمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُه وَمَا زَادَهُم إلَّا إیمَاناً وَتَسْلِیمَاً* الأحزاب: ۲۲.

هذا بیان لقسم من الصحابهٔ الذین قد ناصروا النبی وصدقوا ما عاهدواعلیه، وهم الذین بلغوا من الإیمان الدرجهٔ الکبیرهٔ،

---

۱– البقرهٔ: ۱۴

ص: ۹۰

ولـذا فلم يزدهم تجمُّع الأحزاب خوفاً، و لم يورثهم شـكاً فی دينهم، أو فی رسالـة نبيهم، كما وقع ذلك للطائفة السابقة من الصـحابة؛ فقال حاكياً حالهم: وَيَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، حيث ظنُّوا ظنَّ الجاهليَّة، ولكنَّ هذا ليس مدحاً لكل الصحابة؛ كما هو واضح.

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على نسقٍ واحدٍ، وفی درجة واحدة من الإيمان بالنبی وبحقيَّة رسالته، بل كانوا يتفاوتون فی ذلك، وهذا فی حد ذاته ليس عيباً فيهم، ولكنَّ العيب والنقص فيمن يدعی لهم ما لا يدعونه لأنفسهم.

## المقطع الخامس: بطل المعركة الخالد ...

ما يتعلّق ببطل المعركة الكبير أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السـلام: فمن المؤسف جدَّاً أن يحاول هذا الكاتب اللفَّ والدوران حول آيـات العفو والغفران للصـحابة، ويعطف على ذلـك بآيـات التأييـد والنصـر من قبل اللَّه عزَّ وجلَّ للمؤمنين، دون تعرض لمن تمَّ النصر والتأييد على يده وبسيفه.

ففی معركة بدر الكبری كان أكثر قتلی المشركين بيد أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السلام، وكذا فی أُحُد، وهكذا فی معركة الخندق هذه.

فمن الذی برز لعمرو بن عبد ودّ العامری حينما طلب المبارزة

ص: ۹۱

من المسلمين؟ هاك النصوص التی تحکی ذلک:

۱- قال حذیفة لبعضهم:... «یا لُکَع وکیف لا یحتمل؟ وأین کان أبو بکر وعمر وحذیفة- یعنی نفسه- وجمیع أصحاب محمد صلی الله علیه و آله یوم عمرو بن عبد ودٍّ، وقد دعا إلی المبارزة فأحجم الناس کلهم ما خلا علیّاً، فإنَّه برز إلیه وقتله‌علی یده.

والذی نفس حذیفة بیده لَعَمَلُهُ ذلک الیوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلی الله علیه و آله إلی یوم القیامة» (۱) ۱۴۵.

۲- روی الحاکم فی المستدرک قول النبی صلی الله علیه و آله: «لَمُبَارَزَةُ علی بن أبی طالب لعمرو ابن عبد ودٍّ یوم الخندق أفضل من أعمال أمتی إلی یوم القیامة» (۲) ۱۴۶.

وفی لفظ آخر: أفضل من عبادة الثقلین، وفی ثالث: تعدل عمل الثقلین.

فیاتری لو سألنا هذا الکاتب: هل کان من الحق والعدل والإنصاف أن تهمل ذکر رجل کان سبب النصر فی تلک المعرکة

---

۱- الإرشاد للمفید: ۱/ ۱۰۲

۲- المستدرک علی الصحیحین: ۳/ ۳۲- ۳۴، وراجع ما یقرب من هذه الألفاظ: تاریخ بغداد: ۳/ ۱۹، مناقب الخوارزمی: ص ۱۰۴، المغازی للواقدی: ۲/ ۴۷۰- ۴۷۱، عیون الأثر: ۲/ ۶۲، نهایة العقول للرازی: ص ۱۰۴، البدایة والنهایة لابن کثیر: ۴/ ۱۲۲، دلائل النبوة: ۳/ ۴۲۲، سیرة ابن هشام: ۳/ ۲۶۵، الطبقات لابن سعد: ۲/ ۶۸، السیرة الحلبیَّة: ۲/ ۳۲۰

ص: ۹۲

بل فی غیرها أیضاً، محاولًا إخفاء الحقیقهٔ الناصعهٔ، وتجعله کأحد عامَّهٔ الصحابهٔ الذین تمتدحهم لمجرد صحبتهم؟

وهل تعدل مَنْ تساوی أو تفضل ضربَتُه فقط فی ذلک الیوم لعمرو بن عبد ودّ کل أعمال الثقلین بل عبادتهم، وإلی یوم القیامهٔ، تعدله بمن جبن عن قتال الأبطال؟

فما لکم کیف تحکمون!!؟

وهل بقی المسلمون وتمَّ لهم النصر لولا سیف علی علیه السلام فی ذلک الیوم، وفی غیره من أیّام المسلمین، فأین تشدّقک فی الکثیر من خطبک وکلماتک عبر الإنترنت وغیره بحبّ علی، وبأنَّک الموالی له والمحبّ، والمبغض لعدوه؟؟ وهل ینفتل المحبّ عن ذکر محبوبه؟؟

أم هل یقدر المحبّ علی أن لا یطیع محبوبه؟ بل یری اللذَّهٔ کل اللذَّهٔ ومنتهی الکمال أن یتوصل لإداء فرض المحبَّهٔ من الطاعهٔ والولاء، ألیس کذلک أیها المحبّ الواله!!؟

## الموقف الرابع: ما یتعلّق بصلح الحدیبیَّهٔ:

### اشارهٔ

لقد وقع صلح الحدیبیَّهٔ فی السنهٔ السادسهٔ من الهجرهٔ، ومنشأ ذلک: أنَّ النبی صلی الله علیه و آله قد رأی رؤیا أنَّه دخل البیت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البیت، وعرَّف مع المعرِّفین، فخرج ومعه ألف وأربعمائهٔ من أصحابه، وکان خارجاً قاصداً للعمرهٔ لا الحرب، فمنعته قریش من دخول مکَّهٔ، وتمَّت المراسلات بینهم حتی تمَ

ص: ۹۳

الصلح المذكور، وكان الكاتب للصلح هو على عليه السلام (۱) ۱۴۷، فكان سلام اللَّه عليه هو مبعوث الرسول صلى الله عليه و آله إلى قريش (۲) ۱۴۸، وكان الصلح بشروط معينة مذكورة فى محلها.

وهنا عدَّة مقاطع:

## المقطع الأول: الفتح المبين إرادة اللَّه ونظر الصحابة

قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً* لِيَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِکَ وَمَا تَأَخَّرَ.. سورة الفتح: ۱- ۲.

والمراد أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ سيرزقك الفتح المبين مستقبلًا، وهذا الصلح مقدمةً له ليس إلا، بل هو الفتح واقعاً حيث إنَّ قريش اعترفت بوجود مستقل للنبى صلى الله عليه و آله، ولرسالته وللقوة التى عنده، فاضطرت للمصالحة معه والمهادنة لمدَّة عشر سنين، فجرى الصلح كما أراد النبى بإرادة اللَّه، ولكنَّ قِصَر نظر البعض أوجب امتناعهم عن ذلك وتأبيهم عن قبوله، فصدر منهم ما أغضب الرسول، فاستمع لهذا الكاتب ما يقول: «الاشتياق إلى مكَّة يفوق

---

۱- روى فى المصنف ۵/ ۳۴۳ رقم ۹۷۲۱ عن عكرمة بن عمار قال: أخبرنا أبو زميل سماك الحنفى أنَّه سمع ابن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبيَّة على بن أبى طالب وقال معمر: سألتُ الزهرى فضحك وقال: هو على بن أبى طالب ولو سألت عنه هؤلاء- يعنى بنى أميَّة- لقالوا: عثمان

۲- تاريخ الطبرى: ۲/ ۶۳۰

ص: ۹۴

الوصف، وقد بُشّروا بدخولها، ولکنّ محبّتهم للرسول وطاعته والتأسی به والزهد فی الدنیا والرغبهٔ فیما عند اللّه هی سمهٔ ذلک الجیل» (۱) ۱۴۹.

واقرأ ما نتلوه علیک هنا لتری صحّهٔ دعواه من کذبها:

۱- روی البخاری أنَّ عمر بن الخطاب کان یسیر مع النبی صلی الله علیه و آله لیلًا فسأله عمر عن شیءٍ فلم یُجبه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، ثمّ سأله فلم یجبه، ثمّ سأله فلم یجبه، فقال عمر- یخاطب نفسه-: ثکلتک أمُّک یا عمر؛ نزرت رسول اللّه صلی الله علیه و آله ثلاث مرات کلّ ذلک لا یجیبک.

قال عمر: فحرکتُ بعیری ثمَّ تقدمتُ أمام المسلمین وخشیت أن ینزل فیَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً یصرخ بی، قال: لقد خشیتُ أن یکون نزل فیَّ قرآنٌ، فجئت رسول اللّه فسلَّمت علیه، فقال: لقد أنزلت علیَّ اللیلهٔ سورهٔ لهی أحب إلیَّ مما طلعت علیه الشمس، ثمَّ تلا: إنَّا فَتَحْنَا لَکَ فَتْحاً مُبِینَاً* (۲) ۱۵۰.

---

۱- صحبهٔ رسول اللّه: ص ۲۹- ۳۰

۲- قد حکی هذه النسبهٔ للبخاری الکثیر من المصادر، ولکنّنا لم نعثر علیهافی الموضع المحتمل وجود الروایهٔ فیه وهو: ۲/ ۹۷۸، ولکنَّ کل من ذکر الروایهٔ نسبها للبخاری، فلعلها حُذِفت من الطبعات الجدیدهٔ، ومنها: تفسیر القرطبی: ۱۶/ ۲۵۹ نقلها بلفظ البخاری وفیه: ثکلت أم عمر، تفسیر ابن کثیر: ۴/ ۱۸۴ وفیه: تقدمتُ مخافهٔ أن یکون نزل فیَّ شیء، مسند أبی یعلی: ۱/ ۱۳۸، البدایهٔ والنهایهٔ: ۴/ ۱۷۶، الإمتاع: ص ۳۰۲

ص: ۹۵

۲- قال فی الدرر الكامنة (۱) ۱۵۱: عظم الصلح على نفر من المسلمین حتی كان لبعضهم فیه كلام.

أقول: ولم یصرح بهـذا البعض مَنْ هو؟ تحاشـیاً عن ذكر اسـمه لئلا یسـتلزم منقصهٔ توجب زوال الهالهٔ القدسـیَّهٔ حوله، لكونه من كبار الصحابهٔ، مع عدم توجههم إلی أنَّ ذلک الشخص یعترف علی نفسه بذلک، ولا یجد فی نفسه مانعاً عن ذكر هذا الكلام عنه.

۳- روی البخاری (۲) ۱۵۲: قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتیتُ نبی اللَّه صلی الله علیه و آله.

فقلتُ: ألستَ نبی اللَّه حقاً؟ قال: بلی.

قلتُ: ألسنا علی الحق وعدونا علی الباطل؟ قال: بلی.

قلتُ: فلمَ نعطی الدنیَّهٔ فی دیننا إذاً؟ قال: إنی رسول اللَّه، ولست أعصیه وهو ناصری.

قلتُ: أو لیس كنت تحدثنا أنَّا سنأتی البیت فنطَّوّف به؟ قال:

بلی، فأخبرتک أنَّا نأتیه العام؟

ثمَّ خرج من عنده وجاء أبا بكر وحدّثه بما حدّث به النبی صلی الله علیه و آله

---

۱- الدرر الكامنهٔ: ۱/ ۱۹۳

۲- صحیح البخاری: ۲/ ۹۷۸ برقم ۲۵۸۱، صحیح مسلم: ۳/ ۱۴۱۱، واللفظ هنا للبخاری

ص: ۹۶

فأجابه بما أجابه. قال الزهری: قال عمر: فعملتُ لذلک أعمالًا!!! (۱) ۱۵۳ ۴- قال الواقدی فی مغازیه:... جعل عمر یرد الکلام علی رسول اللّه... (۲) ۱۵۴ ۵- وفی نفس المصدر السابق: ارتبتُ ارتیاباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا یومئذٍ، وراجعتُ النبی مراجعهً ما راجعته مثلها قط، ولو وجدتُ ذلک الیوم شیعهً- وفی روایه مائه- علی مثل رأیی، تخرج عنهم رغبه عن القضیَّه لخرجتُ (۳) ۱۵۵.

وفی هذا الکلام دلاله واضحه علی الرغبه فی التمرد علی قرار النبی بالصلح، ولکنَّ المشکله هی عدم وجود الأنصار.

۶- ذکرنا سابقاً: أنَّ النبی صلی الله علیه و آله أمر الصحابه بعد الصلح أن یحلقوا وینحروا هدیهم، فلم یقم أحدٌ منهم، فدخل إلی أمّ سلمه شاکیاً لها حال أصحابه، فقالت: لا علیک منهم، اخرج واحلق.

---

۱- قال ابن أبی الحدید فی شرح النهج ۱/ ۵۹: إنَّ من الأعمال التی عملها أن قطع شجره الرضوان التی بایع الناس عندها رسول الله، وکان المسلمون یأتونها فیتبرکون بها، وقال السیوطی فی تفسیر هذه الآیه: قال عمر: ما شککتُ إلا یومئذٍ.

أقول: إنَّ متعلق الشک غیر مذکور فلعله أبهم، والإبهام للتعمیم والتعظیم!!

۲- کتاب المغازی: ۲/ ۶۰۶

۳- مغازی الواقدی: ۲/ ۶۰۷

ص: ۹۷

فخرج وحلق وذبح، فقاموا متثاقلین الواحد تلو الآخر، فحلق جماعة وقصَّر آخرون (۱) ۱۵۶، منهم عثمان بن عفَّان (۲) ۱۵۷.

۷- وبعد ذلک الصلح قال رسول اللَّه: یرحم اللَّه المحلِّقین. قالوا:

والمقصِّرین؟

قال: یرحم اللَّه المحلقین. قالوا: والمقصرِّین؟

قال: یرحم اللَّه المحلقین. قالوا: والمقصرِّین؟

قال: والمقصرین. قالوا: یارسول اللَّه؛ فلمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلِّقین دون المقصرِّین؟ قال: لأنَّهم لم یَشُکُّوا (۳) ۱۵۸.

## المقطع الثانی: السکینة عامة أم خاصّة ...؟

قوله تعالی: هُوَ الـذِّی أَنْزَلَ السَّکِینَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤمِنِین لِیَزْدَادُوا إیمَاناً مَعَ إیمَانِهِم وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَکَانَ اللَّهُ عَلِیمَاً حَکِیمَاً الفتح: ۴.

لیس من الأمور الخافیة أنَّ السکینة التی أنزلها اللَّه هی فی قلوب المؤمنین، لا فی قلوب کل الصحابة، کما یمکن لهذا الکاتب

---

۱- البدایة والنهایة: ۴/ ۱۶۹

۲- مسند أحمد: ۳/ ۸۹ حدیث ۱۱۸۶۵، طبقات ابن سعد: ۲/ ۱۰۴

۳- مسند أحمد: ۱/ ۳۵۳ حدیث ۳۳۱۱، تاریخ الطبری: ۲/ ۶۳۷، البدایة والنهایة: ۴/ ۱۶۹، وفی روایة قال مالک بن ربیعة: وأنا محلوق یومئذٍ فما سرَّنی حمر النعم أو خطر عظیم، الطبقات لابن سعد: ۲/ ۱۲۴

ص: ۹۸

أن يـدعيه، إذ أنَّه قـد مرَّ عنـدنا سابقـاً- عبر بعض الآيـات- نفيُ الإيمـان عن بعض الصـحابة واقعـاً، وإن كانوا محكومين بالإيمان على حسب ما يُظهِرُونَهُ أمام المؤمنين.

كما أنَّ منهم مرضـى القلوب الـذين تحـدث القرآن عنهم في آيات متعددة: وأمَّا الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجسَاً إلَى رِجْسِهِم (۱) ۱۵۹، أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا (۲) ۱۶۰، فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم (۳) ۱۶۱.

فهل أنَّ السكينة التي أُنزِلَت عمَّتهم كلَّهم أيُّها الكاتب؟ وقد رأينا أنَّ منهم الشاكَّ، ومنهم المرتابَ، ومنهم المنافِق، والمثبِّط، و.. و..؟

## المقطع الثالث: بيعة الرضوان الأمل والمآل

قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْت الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُم فَتْحاً قَرِيبَاً

تتعرض هذه الآية لما وقع من بيعة الرضوان تحت الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان، والتي قدَّمنا سابقاً أنَّ الخليفة الثاني

---

۱- التوبة: ۱۲۵

۲- النور: ۵۰

۳- المائدة: ۵۲

ص: ۹۹

قطعها بعد ذلک وفاءاً لوعده الذی ضربه علی نفسه فی صلح الحدیبیّة بقوله: «فعملتُ لذلک أعمالًا».

حـدَّث سـلمهٔ بن الأـکوع فقال: بینما نحن قافلون من الحـدیبیّهٔ نادی منادی النبی صـلی الله علیه و آله: أیّها الناس؛ البیعـهٔ.. البیعـهٔ، قال: فسـرنا إلی رسول اللَّه، وهو تحت شـجرهٔ سـمُرَهٔ، فبایعنـاه، وذلـک قول اللَّه عزَّوجـلَّ: لَقَـدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنْ المُؤمِنِینَ إذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِٔ.

کما قـد ذُکِرَ فی سبب نزولها: أنَّ الرسول صـلی الله علیه و آله حین نزل الحـدیبیّهٔ بعث جوَّاس بن أمیَّهٔ الخزاعی رسولًا إلی أهل مکَّهٔ، فهمُّوا به، فمنعه الأحـابیش، فلمَّا رجع دعـا عُمَرَ لیبعثه فقـال: إنِّی أخـافهم علی نفسـی، لِمَا عُرِف من عـداوتی إیَّاهم، وما بمکَّهٔ عَدِوِیٌ یمنعنی، ولکن أدلُّک علی رجلٍ هو أعزّ بها منی وأحبّ إلیهم: عثمان بن عفَّان فبعثه...» (۱) ۱۶۲ ولقد حاول هذا الکاتب أن یثبت أنَّ الصـحابهٔ کلَّهم ممدوحٌ، وکلَّهم عدولٌ من خلال هذه الآیهٔ، بقرینهٔ أنَّ الرضا فی الآیهٔ عامٌّ شاملٌ لکلِّ الصحابهٔ، ولکنَّ ما رامه لیس ممَّا یمکن إثباته من هذه الآیهٔ فضلًا عن غیرها من الآیات لوجوه:

أوّلًا: إنَّ متعلق الرضا فی الآیهٔ هم «المؤمنون» ولیس

---

۱- تفسیر الکشاف: ۴/ ۳۳۹، وأخرجه أحمد من روایهٔ عروهٔ عن المسور ومروان

ص: ۱۰۰

الصحابة لفظاً ولا معنى، وذلك لعدم اعتبار كل الصحابة مؤمنين، وهذا مسلَّم حتى بالنسبة للكاتب لو أعطى التأمل حقَّه، فالمرضيُّ عنه مَن تعنون بعنوان المؤمن، وليس من اتصف بأنَّه من الصحابة، وإن كان المؤمنون من الصحابة، لكن قد ثبت أن فى الصحابة من خرج عن الإيمان، فلا تنافى بين الأمرين.

ثانياً: قد اعترف الكاتب بأنَّ منادى الجهاد نادى: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة، فممَّن خرج معهم جابر بن عبد اللَّه وهو من الذين لم يشهدوا المعركة معهم (۱) ۱۶۳، لكنَّه من المؤمنين حقاً فلم يمانع النبى فى حضوره معهم، وذلك لمعرفته به.

وممَّن كان فى بيعة الرضوان عبداللَّه بن أبى، رئيس المنافقين، ومن المعروف المسلَّم أنَّ عبد اللَّه هذا ممَّن شهد البيعة.

وممَّن حضر البيعة أيضاً الحرقوص بن زهير السعدى أو التميمى، وهذا صار من رؤوس الخوارج بعد ذلك، بل هو الذى قال للنبى، «اعدل يا محمد»، وقد تقدم منَّا ذلك.

ثالثاً: إنَّ متعلق الرضا فى الآية مبهم، وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا له بأن نحدد متعلق الرضا ما هو؟

ولكنَّ الذى يمكن البحث فيه هو أنَّ الإهمال لمتعلق الرضا لا يمكن من قبل الحكيم تعالى، حيث يلزم أن يكون صدور الرضا

---

۱- صحبة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ص ۲۶

ص: ۱۰۱

منه تعالى عنهم سواء فعلوا ما يوجبه أو لا ـ وكذا الإطلاق غير ممكن في المقام، وذلك للزوم أن يصدر الرضا منه تعالى عنهم حال صدرو أي فعل، وفي كل زمان- الماضي والحاضر والمستقبل- وكلّ مكان، وهذا ما لا يلتزم به عاقلٌ، خاصَّة مع ملاحظة آيات العذاب لبعضهم وما نزل فيهم، وتكفينا شاهداً على هذا سورة الفاضحة- التوبة-.

إذن؛ فليس إلا تقييد الرضا، فلابدَّ من كون الرضا مقيَّداً بالرضا في زمان خاصٍّ وعن فعل مخصوص في ظرف قد اختصَّ به، والمرضيُّ عنهم جماعةٌ خاصَّة كما نصَّت عليه الآية، علاوة على كون ذلك غايته ذلك الزمان، دون ما بعده من الزمان.

إذن؛ فلا دلالة في الآية على شيء من الإطلاق ممَّا يروم إثباته هذا الكاتب.

## المقطع الرابع: من هم السابقون

قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار وَالـذِّينَ اتَّبَعُوهُم بِإحْسَانٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوْا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً ذلِكَ الفَوْزُ العَظِيم التوبة: ۱۰۰.

لقد حاول الكاتب جاهداً إقناع القارىء بأنَّ الصحابة لا يمكن أن تصل لساحتهم أقلام النقد والطعن من أي أحدٍ، بل

ص: ۱۰۲

تشدق بمنع خيال المتخيل للطعن، وهو من المبالغة المفضوحة، خاصة مع وجود القرائن على صحة نقد الناقد، بل واقعيَّة ذلك في حد ذاته، وباعتراف كبراء القوم به.

بل الآيات التي بعدها والتي قبلها تؤلِّف منظومة واحدة في المعنى الذي نروم بيانه، من عدم استواء عدالة الصحابة وإخلاصهم وإيمانهم على درجة واحدة.

فياترى إلى متى نظل نكابر عقولنا ووجداننا؟

وعلى كل حال فهاك بعض الكلمات حول هذه الآية، تنفع في ردّ ما ذكره وإثبات ما ما منع من تحققه، فضلًا عن تصوره، فضلًا عن تخيله:

أوّلًا: إنَّ الحكم المذكور في الآية هو- كما يقول العلماء- من القضايا الخارجيَّة، أي من الوقائع الخاصة الشخصيَّة المختصة بأشخاص بأعيانهم، ومثل هذه القضايا لا يمكن تحصيل حكم كلي منها.

فالسابقون جماعة خاصة، والمهاجرون كذلك، والذين اتبعوهم بإحسان مثلهم، لكن هم ليسوا كل متبع لهم، بل خصوص من اتبعهم باختيار منهم وإحسان، فلا تشمل الآية المتبع لهم عن كراهية وقهر، أو المتبع لهم لأغراض دنيويَّة.

هذا بالنسبة للموضوع.

بل حتى لو كانت من القضايا الحقيقيَّة لم تنفع هذا الكاتب في

ص: ۱۰۳

شیء من أمر مدعاه، وذلک لثبوت خروج بعض الأفراد عنها قطعاً، وقد قال أهل الاختصاص یکفی لنقض الموجبة الکلیَّة ثبوت السالبة الجزئیة.

فما یدَّعیه من ثبوت الرضا لکل الصحابة مطلقاً، وما یدّعی لنقض هذه الکلیَّة ثبوت أنَّ بعض الصحابة ممَّن سبق فی الهجرة أو من الأنصار قد فعل ما یوجب غضب اللَّه علیه، ولو بتوسط غضب نبیِّه کما فی روایات کثیرة.

وهذا ثابت بالنصوص الکثیرة حول بعض الأشخاص، کما مرَّ منَّا ذکر بعض الروایات المثبتة لذلک عنهم، فلا تبقی للقضیة الکلیَّة التی یریدها دعامة إلا وانهدَّ ت.

ثانیاً: وأمَّا بالنسبة لمحمول القضیَّة فالرضا الذی منهم عن اللَّه لا ینفع المستدل فی شیء ممَّا یروم إثباته (۱) ۱۶۴.

وأمَّا الرضا الذی من اللَّه عنهم فعمومه لجمیعهم هو محل الکلام، فإنَّه من الأمور التی تتَّسع وتضیق علی حسب متعلَّق الرضا، فإن کان وسیعاً عاماً کان الرضا کذلک، وإن کان ضیقاً فهو کذلک أیضاً.

---

۱- وذلک لوضوح اختلاف متعلق الرضا بین رضا اللَّه عزَّ وجلَّ ورضا الناس، بل حتی لو عرف متعلق رضا اللَّه لم یُجدِ، إذ أنَّ رضاهم عن اللَّه وعن نبیه صلی الله علیه و آله من الواجب علیهم تحصیله ووظیفة مطلوبة منهم، بینما رضا اللَّه عنهم کان محض تفضل وامتنان منه تعالی علیهم

ص: ۱۰۴

وهنا نجد أنَّ الرضا قد صدر عن خصوص مَنْ سبقت له الهجرة، بل ليس كلّ من سبقت له الهجرة، وإنَّما خصوص الأوائل منهم، وثابت لمن سَبَقَتْ منه النصرة للنبی صلی الله علیه و آله، لا لکل صحابی من الأنصار.

بل یمکن لنا القول بأنَّ الهجرة الممدوحة والمرغوب فیها من قبل اللَّه عزَّ وجلَّ هی خصوص الهجرة إلی اللَّه وفی اللَّه، کما فی قوله تعالی: الَّذِینَ هَاجَرُوا فِی اللَّهِ.. (۱) ۱۶۵ وقوله تعالی: وَمَنْ یَخْرُج مِن بَیْتِهِ مُهَاجِرَاً إِلَی اللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ یُدْرِکهُ المُوتُ.. (۲) ۱۶۶.

وهکذا أکثر الآیات الذاکرة للهجرة أو النصرة، کما فی قوله تعالی: یَاأَیُّهَا الَّذِّینَ آمَنُوا کُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ کَمَا قَالَ عِیسَی بن مَرْیَم لِلحَوَارِیینَ مَن أَنْصَارِی إِلَی اللَّه (۳) ۱۶۷.

ثالثاً: یمکن النقض علی هذا المدَّعی ببعض الآیات الأخر التی لا یمکن له الالتزام بها، ففی مثل قوله تعالی: الَّذِّینَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِیبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَیْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِکَ عَلَیْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ...، فهذه تثبت المدح بالصلاة من اللَّه علی کل من أصابته مصیبة فقال هذا القول، ولو کان القائل غیر مؤمنٍ.

---

۱- النحل: ۴۱

۲- النساء: ۱۰۰

۳- الصف: ۱۴

ص: ۱۰۵

فما يتشدق به هذا الكاتب من مدحٍ مدَّعى للصحابة، وقد استفاده من الآية، ليس ممّا يوجب اختصاصاً لهم بالمدح دون غيرهم من الناس.

وكذا في قوله تعالى: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُم جَنَّات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الفَوز العَظِيم (۱) ۱۶۸.

وقوله تعالى: إنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَات وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَّاشِعِين وَالخَّاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرَاً وَالذَّاكِرَاتِ أعدَّ اللَّهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيمَاً* (۲) ۱۶۹.

فهل يلتزم الكاتب بثبوت الرضا لكل من كان صادقاً ولو لم يكن جامعاً للصفات الأخرى الموجبة لدخول الجنَّة والخلود فيها؟

وهل يقبل الكاتب أن يكون كل من تحصَّل على واحدة من هذه الصفات، المذكورة في الآية الثانية يكون مستحقاً للمغفرة والأجر العظيم، ولو لم يكن جامعاً للصفات المعتبرة في المستحق

---

۱- المائدة: ۱۱۹

۲- الأحزاب: ۳۵

ص: ۱۰۶

للمغفرة ممَّا لم يـذكر فی الآيـة، كصـفة الثبات فی القتال وعـدم الفرار من الزحف، وصـفة الإطاعة للَّه وللرسول والوفاء بالعهد والأمانة والانصياع لأوامره ونواهيه، وصفة المصلی المؤدی للحج و.. و.. و، فهل يلتزم الكاتب بهذا هنا؟

وكل ما يجيب به علی هذا نجيب به علی مدَّعاه فی الآية.

رابعاً: قد اختلف فی المراد بالسابقين من المهاجرين، مَنْ هم؟

فقيل: إنَّهم من صَلَّوْا القبلتين.

وقيل: الذين شهدوا معركة بدر.

وعن الشـعبی: من بايع بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولی، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (۱) ۱۷۰.

وعلی كـلّ حـال: فسواء جعلنـا المهاجرين والأنصار مِصْـدَاقَیْ «السابقون» بكسـر كلمـة الأَنْصَارِ أو جعلنا الأنصار معطوفاً علی السَّابِقُون فيرتفع، فيكون قسماً آخر فی مقابل السَّابِقُون فهذا لا يغيّر فی النتيجة شيئاً، وذلك لأمرين:

۱- أنَّ موضوع السَّابِقُون مجمل غير مبيَّن، حيث قـد تقـدم اختلاف المفسـرين فی المراد بهم من هم؟ أو هو مبيَّن ولكنَّه خاص بطائفة منهم، لا أنَّه لكل الصحابة.

---

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۳۰۴

ص: ۱۰۷

۲- أنَّ الأنصار لا يمثّلون كلّ الصحابهٔ، فثبوت تعلق الرضا بهؤلاء أو بجميعهم لا يوافق مدَّعى الكاتب من عدالهٔ كل الصحابهٔ- مهاجرةً وأنصاراً- كما لا يخفى، خاصَّهٔ مع وصف المهاجرين بأنَّهم الأولون، وأوَّل من أسلم هو على بن أبى‌طالب عليه السلام.

فإنَّ العرب تستعمل فی كلامها لفظ الجمع وترید به شخصاً واحداً.

وقد وردت بعض الروایات المفسرهٔ للآیهٔ- موضع البحث- بأفراد معینیین، وهذا واضح.

خامساً: یمكن النقض علی المستدل بالآیهٔ علی عموم الرضا لكل الصحابهٔ، وهو هذا الكاتب وأمثاله:

بأنَّ هذه الآیهٔ مع تحدید السابقین فی الهجرهٔ بما بین البیعتین، أو ما كان قبل معركهٔ بدر؛ بعدم شمولها للمهاجرین فی السنهٔ السابعهٔ وما بعدها، إذ أنَّ بیعهٔ الرضوان كانت فی السـنهٔ السادسهٔ من الهجرهٔ، وكذا مِن الأنصار مَنْ تأخرت نصـرته للنبی صـلی الله علیه و آله عمَّن كانوا أوَّل قدوم النبی المدینهٔ، فإنَّهم لیسوا من السابقین فی النصرهٔ، فلا تكون شاملهٔ لكل الصحابهٔ (۱) ۱۷۱.

---

۱- وقد سبق أن قلنا بأنَّ نقض الموجبهٔ الكلیَّهٔ یكفی فیه ورود السالبهٔ الجزئیَّهٔ

ص: ۱۰۸

سادساً: لیس من الممکن أن تدل الآیة علی عدالة کل الصحابة؛ وذلک لکون الآیة فی سورة التوبة، وهی مدنیَّة بعد ظهور الإسلام وعلوِّ شأنه، ولذا اشتملت هذه السورة علی فضح الکثیر من أعمال المنافقین حتی کان البعض منهم کلَّما رأی حذیفة یسأله: هل نزل فیَّ شیءٌ خوفاً من فضحهم (۱) ۱۷۲، ولذا فمن أسماءها الفاضحة.

فیاتری: هل یمکن الالتزام ببقاء الرضا عنهم من قِبَل اللَّه حتی بعد ذلک، ولو فعلوا ما فعلوا من مخالفات شرعیَّة فی حیاة النبی صلی الله علیه و آله أو بعد وفاته صلی الله علیه و آله؟

هذا ما لا یمکن الالتزام به من أی عاقل فضلًا عن عالم، وقد سبق منَّا ذکر بعض الأمور التی جرت بین الصحابة أنفسهم، أو بینهم وبین النبی.

ومن أهم ما جری بینهم وبین النبی فیما بعد هذه الآیات حادثة الدواة والکتف، وحادثة تنفیذ جیش أسامة، بل أعظمها علی

---

۱- بل حتی المبلِّغ لها أولًا- وکان أبو بکر- لمَّا أن أرسل النبی صلی الله علیه و آله أمیر المؤمنین علیه السلام لیأخذها منه، ویبلغها أهل مکة سأله أبو بکر: أأمیر أو مأمور؟ قال: بل مأمور من النبی صلی الله علیه و آله، فرجع أبو بکر إلی النبی صلی الله علیه و آله وهو یبکی ویقول: أنزل فیَّ شیء یارسول اللَّه؟ قال: لا یُبَلِّغ عن اللَّه إلا أنا أو رجل منی.

أقول: فهل بعد بیان هذه المنزلة والتفضیل لعلی علیه السلام بیانٌ؟

فما لکم کیف تحکمون؟؟

ص: ۱۰۹

القلب، وهو محاولهٔ اغتيال النبی فی قضیَّهٔ دحرجهٔ الدِّباب.

فأمَّا الحادثهٔ الثانیهٔ: فقد رواها لنا البخاری فقال: بعث رسول اللَّه بعثاً وأمَّر علیهم أسامهٔ بن زید فطعن بعض الناس فی إمرته! فقام رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فقال: إن کنتم تطعنون فی إمرته فقد طعنتم فی إمرهٔ أبیه من قبل، وأَیْمُ اللَّه إن کان لخلیقاً للإمارهٔ، وإن کان لمن أحب الناس إلیَّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إلیَّ بعده (۱) ۱۷۳.

وأمَّا الحادثهٔ الأولی: فقد حدَّث البخاری بها کذلک، فلنستمع له یحدثنا بها کما رویت له: لمَّا اشتدَّ بالنبی صلی الله علیه و آله وجعه قال:

ائتونی بکتاب أکتبُ لکم کتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إنَّ النبی صلی الله علیه و آله غلبه الوجع، وعندنا کتاب اللَّه حسبنا، فاختلفوا وکثر اللغط! قال: قوموا عنی، ولا ینبغی عندی التنازع، فخرج ابن عباس یقول: الرزیَّهٔ.. کل الرزیَّهٔ ما حال بین رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وبین کتابه (۲) ۱۷۴.

وحدَّث بها مسلم فی صحیحه هکذا: اشتدَّ به صلی الله علیه و آله وجعه فقال:

ائتونی بدواهٔ وصحیفهٔ أکتب لکم کتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا.

---

۱- صحیح البخاری: ۶/ ۲۴۴۴ برقم ۶۲۵۲، صحیح مسلم: ۴/ ۱۸۸۴، الطبقات: ۲/ ۱۸۹

۲- صحیح البخاری: ۱/ ۵۴ برقم ۱۱۴

ص: ۱۱۰

فقال بعضهم: إنَّ رسول اللَّه يهجر (۱) ۱۷۵ استعيدوه... (۲) ۱۷۶.

وفى روايـة ثالثة: قال عمر: إنَّ النبى صـلى الله عليه و آله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن وحسـبنا كتاب اللَّه، مَنْ لفلانة وفلانة؟- يعنى مدائن الروم، إنَّ النبى صلى الله عليه و آله ليس بميّت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى» (۳) ۱۷۷.

فلغطوا واختصـموا، فمنهم من يقول ما قال عمر (۴) ۱۷۸، ومنهم من يقـول: قرِّبُوا يكتب لكم رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله كتابـاً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فلما أكثروا اللغط وغمُّوا رسولَ اللَّه قال: قوموا عنى (۵) ۱۷۹.

فهذه نماذج ممَّا جرى مع النبى صـلى الله عليه و آله من الصـحابة، بل من كبراءهم، بل من السابقين- عندكم- الأوَّلين من المهاجرين، كل هـذا فى أواخر أيَّام حياته، فكيف بما بعـد وفاته من أمور وحوادث نصـفح عنها تنزهاً، وحفاظاً على القارىء المحترم عن الملالـة، وإعادة ذكر ما هو من المسلَّمات فى التاريخ والحديث، ممَّا جرى

---

۱- يهجر من الهجر أى الهذيان، وذلك بسبب شدة المرض، فيقول ما لا يدرك

۲- صـحيح مسلم: ۳/ ۱۲۵۹، ويظهر منهـا أنَّ مسـلم أكثر تحاشـياً عن ذكر ذاك القائـل من البخارى حيث حرَّف الروايـة هنا فقال: قال بعضهم..

۳- إمتاع الأسماع للمقريزى: ۵۴۶

۴- صحيح البخارى: كتاب العلم: ۱/ ۵۴

۵- صحيح مسلم: ۳/ ۱۲۵۹

ص: ۱۱۱

منهم على ابنة نبيِّهم الزهراء البتول، وزوج ابن عمِّ الرسول عليها السلام (۱) ۱۸۰.

والخلاصـة أنَّنا لا ننكر فضـلًا للصـحابة أثبته اللَّه لهم، ولكن ليس لكل من يـدَّعى أنَّه من الصـحابة مثل ذلك الفضل، بل للبعض منهم فقط، بل إنَّ بعضهم ممَّن أساء للنبى صلى الله عليه و آله، فهل نعدُّ إساءته فضلًا؟

وأخيراً..: لا يفتأ هذا الكاتب يفهم الأشياء فهماً معكوساً على أثر عدم معرفته بمصطلحات العلوم كالمنطق وأصول الفقه، وحتى مداليل اللغة: فهو يقول: «انظر إلى العموم فى قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُون، ولا نعلم أى عموم فيه!

ويقول: مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار نعم الذين هاجروا مع النبى والذين نصروه هم السابقون...»؟!!.

عجباً؛ كيف يعكس المعنى؟ فالآية تُخصـص الرضا بمن سـبقت منه الهجرة، وبمن سـبقت منه النصرة، وهذا يقول كل مَنْ تحققت منه الهجرة، وكل من تحققت منه النصرة فهو مشمول بالحكم

---

۱- ولقد كتب العلماء كثيراً فى هذه الواقعة بما يثبت صدورها عنهم بعد موت النبى مباشرةً؛ فارجع لكتاب تشييد المطاعن للسيد ناصر حسـين، وكتاب الهجوم على بيت فاطمـة، وكتاب المحسن بن فاطمـة، وكتاب أين الإنصاف؟ وكتاب محنـة فاطمة، وغيرها من الكتب والمؤلّفات

ص: ۱۱۲

بالرضا.

فانظرْ للفرق بین المعنیین!! وانع- أیُّها القاریء- علی هذا الکاتب فهمه للعبارهٔ العربیَّهٔ.

## الموقف الخامس: ما یتعلّق بغزوهٔ تبوک: شواهد من مشاهد

إنَّ من ممیزات سورهٔ التوبهٔ أنَّها من آخر ما نزل علی النبی من السور؛ فقد کانت فی السنهٔ التاسعهٔ من الهجرهٔ، وکان أکثرها لفضح المنافقین ومرضی القلوب، وکانت غزوهٔ تبوک بخروج النبی صلی الله علیه و آله من المدینهٔ لمحاربهٔ الروم، وللثأر لجعفر بن أبی طالب ومن مات معه من المؤمنین فی معرکهٔ مؤتهٔ، وکان عدد مَن معه ثلاثین ألف رجل، منهم عشرهٔ آلاف فارس، ولکن انفصل- فی موضع خارج المدینهٔ- عبداللّه بن أبی بمجموعهٔ من الجیش یقدر بالثلث، وصاروا یُثبِّطون الخارجین مع النبی صلی الله علیه و آله عن الخروج معه.

ثمَّ إنَّ الآیات التی وردت فی حق هذه الغزوهٔ یمکن تقسیمها إلی أربعهٔ أقسام:

الأول: ما یشیر لتثاقل الناس عن الخروج للجهاد بعد ثرائهم واشتغالهم بأموالهم وأعمالهم، قال تعالی: یَاأَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَالَکُم إذَا قِیلَ لَکُم انفِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إلَی الأَرْضَ

ص: ۱۱۳

أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنيَا مِن الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاة الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ* إلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُم عَذَابَاً أَلِيمَاً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمَاً غَيْرَكُم وَلا تَضُرُّوهُ شَيئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ* التوبة: ۳۸– ۳۹.

وقال تعالى: لَوْ كَانَ عَرَضَاً قَرِيبَاً وَسَفَراً قَاصِدَاً لاتَّبَعُوكَ وَلكِن بَعُدَت عَلَيْهِم الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّه لَو استَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنْفُسَهُم وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُم لَكَاذِبُون التوبة: ۴۲.

ففى هذه الآيات عتاب شديد من اللَّه عزَّ وجلَّ للصحابة على عدم نفرهم لمَّا استنفرهم الرسول صلى الله عليه و آله، وتعييرٌ مع تبيين لواقع حالهم بأنَّهم قد رضوا بالحياة الدنيا وبِلَذَّاتِها، وفضَّلوا ذلک على نعيم الآخرة وجنَّاتها.

ثمَّ تهديد ووعيد شديد اللهجة منه تعالى لهم بأنَّه إن لم تنفروا ينزل عليكم العذاب الأليم، ولا تكونوا مستحقين لصحبة مثل هذا النبى العظيم فيستبدل قوماً غيركم، وليس فى ذلک أدنى ضرر عليه.

فياترى: هل أنَّ هذا العتاب والتهديد منه تعالى كان للصحابة أم كان للكفار أو للمنافقين؟؟

ولمزيد تأكيد واقع حالهم يبين حقيقة نواياهم بأنَّ همَّتهم قد ضعفت وصارت إلى درجة أنَّهم يستحبون السفر القريب و

ص: ۱۱۴

المغنم الواضح المقصود، وأمَّا مع بُعدُ الشُّقَّة عليهم فيتطلبون المعذرة منك لعدم استطاعتهم ذلك، بل يُقسِمُونَ على هذا، مع علم اللَّه بكذبهم.

الثانی: ما يتعلَّق بالمقابلة بين ما يجب على المسلمين والمؤمنين عمله لأجل التهيؤ للجهاد، وما صَدَرَ منهم فی الخارج:

قوله تعالى: انفِرُوا خِفَافَاً وَثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُم فِی سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُم خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون التوبة: ۴۱.

وقوله تعالى: وَإِذَا أُنْزِلَت سُوْرَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَع رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَک أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُم وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ* رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ* التوبة: ۸۶- ۸۷.

فهذه الآيات تبين ما كان مفترضاً أن يقوم به المسلمون من النفر للجهاد وبذل الغالی والنفيس من المال والنفس والولد.

ولكنَّ الأمر المؤسف ما عبَّرت عنه الآية الثانية من تثاقلهم واعتذارهم بطريقة شبه مؤدبة؛ وهی الاستئذان منک فی عدم الخروج، فنزل القرآن مُبَكِّتاً لهم، وذامَّاً لفعلهم، بعدم الفقه لأمر هذا الدين، وأهميَّة الجهاد فی سبيله.

فياترى- أيها الكاتب المحترم- هل أنَّ هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم؟ ألا بربِّک قل لی.

ص: ۱۱۵

الثالث: ما يتعلق بأمر المنافقين وهو آيات كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: وَمِنْهُم الذِّينَ يُؤذُونَ النَّبِى وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِّينَ آمَنُوا مِنكُم وَالذِّينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللَّه لَهُم عَذَابٌ أَلِيم التوبة: ۶۱

يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزُلَ عَلَيْهِم سُورَةٌ تُنَبِّئهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِم قُل استَهْزِؤا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ* وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهزؤن* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم إنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُم نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُم كَانُوا مُجرِمِينَ* التوبة: ۶۴- ۶۶.

وقوله تعالى: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقِمُوا إلَّا أَنْ أَغْنَاهُم اللَّهُ وَرَسُولُه مِن فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُم وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُم اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم فِى الأَرْض مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ* التوبة: ۷۴.

ففى هذه الآيات صفات للمنافقين ممَّن صحَّت منه الصحبة للنبى، ولو لفترةٍ ما، وآمن به وروى عنه، ثمَّ صدر منهم النفاق، ولكنَّ كل ذلك لم يمنع اللَّه عزَّ وجلَّ من أن يُنزِل فيهم قرآناً يُتلَى،

ص: ۱۱۶

فضحاً لهم وتعريضاً بمواقفهم الخاذلة للنبى (۱) ۱۸۱.

هذا مع سبق بيعتهم للنبى وعهدهم له بعدم الخذلان وبالنصرة له فى كل المواقع، فنقضوا العهد وخالفوا ما بايعوا النبى عليه.

وأمّا الآيـة الثانيـة: فقـد قيـل بأنّها نزلت فى الجُلَاس بن سويـد بن الصامت بن خالـد الأوسـى، وقيل فى عبـد اللّه بن أبى، وقيل فى أهل العقبة (۲) ۱۸۲.

فـإنّه صـلى الله عليه و آله لمّا كان فى غزوة تبوک قال الجُلَاس بن سويـد: واللّه لئن كان ما يقول محمـدٌ حقاً لإخواننا الـذين خلّفناهم، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شرٌّ من الحمير.

فنقل ذلک الكلام إلى رسول اللّه ربيبُهُ عامر أو عمير بن قيس الأنصارى فاسـتدعاه الرسول صـلى الله عليه و آله فأنكر، فرفع عامر يديه نحو

---

۱- أقول: إذا كان القرآن نفسه يقوم بفضح بعض المنافقين ومرضى القلوب، ويعرف النبى بهم والنبى يعرف الناس بهم، ولو بالوصف دون الإسم، فلا بدَّ وأن يكون ذلک لغرض سَامٍ، وغاية قصوى يريدها القرآن من ذلک، ونحن نقتفى بالقرآن فى هذا الأمر ونتبع سـنَّة الرسول.

وكل ما يُشـكِل به هذا الكاتب علينا فهو إشـكال على كتاب اللّه وسـنَّة رسوله، إلا أن ينكر وجود مثل هذه الآيات فى القرآن، أو ينكر وجود كل سورة التوبة- الفاضحة- فى القرآن، أو وجود الروايات فى الصحاح والسنن، وحينئذٍ فلا كلام لنا معه!!

۲- مجمع البيان: ۶/ ۹۰

ص: ۱۱۷

السماء وقال: اللهم أنزل آية فى تكذيب الكاذب وتصديق الصادق منَّا، فنزلت هذه الآية، فتاب عندئذٍ الجُلاس وحسنت توبته وإسلامه.

وأمَّا القول بنزولها فى أهل العقبة، ففيها إشارة لما اتفقوا عليه من الهمِّ بقتل النبى ودحرجة الدباب عليه أو قطع زمام ناقته حتى تسقط به فى الوادى، وذلك عند مرجعه من تبوك (۱) ۱۸۳:

تواثق خمسة عشر رجلًا أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادى إذا تسنّم العقبة بالليل، فأخذ عمَّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها (۲) ۱۸۴، فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم

---

۱- تفسير الكشاف: ۲/ ۲۹۱، وفى هامشه كتب ابن حجر العسقلانى: أخرجه أحمد من حديث أبى الطفيل قال: «لما قفل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من غزوة تبوك.. وساق الحديث» وذكر فى ذيل الحديث: لمَّا كان بعد ذلك وقع بين عمَّار ورجل منهم شىء ممَّا يكون بين الناس، فقال: أنشدكم اللَّه كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول اللَّه؟

فقال: ترى أنَّهم أربعة عشر، فإن كنتَ فيهم فهم خمسة عشر.

ومن هذا الوجه رواه الطبرانى والبزار وقال: روى من طرقٍ عن حذيفة، وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق فى المغازى، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرَّة عن أبى البخترى عن حذيفة بن اليمان- وساق الحديث إلا أنَّه قال: اثنى عشر رجلًا فانتهت إلى رسول اللَّه فصرخ فى وجههم فولوا مدبرين

۲- وفى بعض الروايات الأخر بالعكس

ص: ۱۱۸

إليكم يا أعداء اللَّه فهربوا (۱) ۱۸۵.

وفی روایة: أنَّ أسید بن حضیر سأل الرسول صلی الله علیه و آله عن سبب تخلفه عن القوم ومشیه فی اللیل عبر العقبة، فقال: أتدری ما أراد المنافقون البارحة؟

قال: وماذا أرادوا؟

قال: أرادوا أن یقطعوا أنساع راحلتی وینخسوها حتی یطرحونی من راحلتی.

فقال له: عیِّنهم فیقتلهم أهل عشیرتهم، وإن شئت عیِّنهم لی فلا تبرح حتی آتیک برؤوسهم.

فقال رسول اللَّه: إنی أکره أن یقول الناس إنَّ محمداً لمَّا انقضت الحرب بینه وبین المشرکین وضع یده فی قتل أصحابه (۲) ۱۸۶.

ولیس غائباً عنک ما رواه مسلم بسنده عن حذیفة عن النبی صلی الله علیه و آله أنَّه قال: «فی أصحابی إثنا عشر منافقاً، فیهم ثمانیة لا یدخلون الجنَّة حتَّی یلج الجمل فی سَمّ الخیاط» (۳) ۱۸۷.

---

۱- راجع لمعرفة تفاصیل هذا: سنن البیهقی: ۹/ ۳۳، وقیل بأنَّه أحسنها وأصلحها سنداً، البدایة والنهایة: ۳/ ۳۲۷، زاد المعاد: ۳/ ۵۴۵، أنساب الأشراف: ص ۲۳۶، مغازی الواقدی: ۳/ ۱۰۴۲، تفسیر ابن کثیر: ۲/ ۶۰۴

۲- إمتاع الأسماع: ۴۷۸- ۴۷۹

۳- صحیح مسلم: ۴/ ۲۱۴۳ کتاب صفات المنافقین، سنن البیهقی: ۸/ ۱۹۸، مسند أحمد: ۵/ ۳۹۰ وغیرها من المصادر

ص: ۱۱۹

ولا يفوتنَّك قول النبى صلى الله عليه و آله «فى أصحابى»، وكذا قوله «قتل أصحابه» فى الرواية السابقة.

الرابع: ما يتعلّق بمدح أمير المؤمنين والمؤمنين معه، وكذا ما يتعلّق باستقبال الوفود: قوله تعالى: لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم وَأُولَئِكَ لَهُم الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُم المُفْلِحُونَ* التوبة: ۸۸. ممّا لا شك ولا ريب فيه لدى كل متتبع لمواطن نزول الآيات القرآنية، وهو ممّا لابدّ وأن يحصل به القطع:

أنَّه لا توجد آية مدحٍ فى القرآن إلا وعليٌّ على رأس الممدوحين فيها.

وقيل بأنَّ موارد مدحه عليه السلام بلغت ثلاثمائة آية (۱) ۱۸۸، بل نُسِب إلى أحمد بن حنبل أنَّه قال: لم يصلنا من روايات الفضائل فى أحد من الصحابة ما وصلنا فى على بن أبى طالب عليه السلام (۲) ۱۸۹.

إن قلت: من المعروف تاريخياً أنَّ أمير المؤمنين لم يكن مع النبى فى هذه الغزوة، بل بقى فى المدينة، فكيف يكون مشمولًا بها؟

قلتُ: إنَّ المدح فى الآية لمن كان مع النبى، وليس المقصود خصوص المعيَّة البدنيَّة، وإلا فقد كان معه الكثير من المنافقين، ولا يمكن أن تكون الآية شاملة لهم بالمدح، بل يمكن لنا دعوى

---

۱- تفسير الحبرى: للحسين بن الحكم الوشاء (ت ۲۸۱ ه) ط بيروت ۱۴۰۸ ه. ص ۱۶۲ - ۱۶۳ وانظر الحديث الثالث ص ۲۳۴ وتخريجاته (ص ۳۸۳)

۲- المستدرك للحاكم النيسابورى: باب أوّل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

ص: ۱۲۰

عدم إرادة المعيَّة البدنيَّة أصلًا، وأنَّ المراد مَن كان معه على الحقِّ وعلى الدعوة للَّه عزَّ وجلَّ، ولهذا الدين.

ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين هو أوَّل من كان معه على هـذه الـدعوة، فهل تتعقل أن تخرجه عن دلالتها وتـدخل الأباعد والمتأخرين فى هـذه الـدعوة؟ وإنَّما أبقاه النبى صـلى الله عليه و آله فى المدينة محافظاً عليها عن انقلاب المنافقين وإفسادهم، حيث تخلف فيها الكثير منهم والمتربِّصُون بهذا الدين الدوائر، وأى جهاد أعظم من هذا؟

مع عدم حبِّه عليه السـلام للتخلّف، لفرط رغبته فى مصاحبة الرسول صـلى الله عليه و آله فى كل غزواته، بل كان متعطّشاً للذهاب معه، ولكنَّ طـاعته الكبيرة للرسول جعلته يمتثـل أمر النبى بالبقاء، بل كان اختياره البقاء أحـد فردى التخيير بينه وبين خروجه وبقاء النبى فى المدينة- كما دلَّت عليه الروايات-، ولذا لم يرد عندنا ولا عند العامَّة أن خرج على عليه السـلام فى جيش أو غزوة أو سريَّة مأموراً، بل كان فيها كلِّها هو الأمير، ولذا كان من ألقابه أمير المؤمنين سلام اللَّه عليه.

وهاك بعض الشواهد على مدائح علي:

أحـدها: لمَّا عزم الرسول صـلى الله عليه و آله على الخروج لغزوة تبوك قـال لأمير المؤمنين: إمَّا أن تخرج وأبقى فى المدينـة، وإمَّا أن تبقى وأخرج، فإنَّ المدينة لا تصلح إلا بى أو بك (۱) ۱۹۰.

---

۱- ميزان الاعتدال: ۱/ ۵۶۱، مناقب ابن المغازلى: ص ۳۲

ص: ۱۲۱

فقبل عليٌّ بأن يبقى فى المدينة، ولكن لمّا شارف الرسول على الخروج بالجيش تكلّم المنافقون فى عليٍّ وقالوا: «لو كانت له فى ابن عمه حاجةٌ لأخرجه معه»! فتأثر أمير المؤمنين لذلك (۱) ۱۹۱ وأخبر النبى بما قالوا، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه لا نبيَّ بعدى» (۲) ۱۹۲ ثانيها: لمّا قدم وفد ثقيف على رسول اللَّه فى شهر رمضان، سألوه أن يدع اللات لهم مدَّة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى عليهم ذلك، وقال لهم النبى: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلًا منى أو كنفسى، فليضربنَّ أعناقكم، وليأخذنَّ أموالكم، وليسبينَّ ذراريكم.

فقال عمر: فجعلتُ أنصب صدرى وأقوم على أطراف أصابعى؛ رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفتَ إلى عليٍّ فأخذ بيده وقال: هو هذا، هو هذا (۳) ۱۹۳.

---

۱- لعل هذه من كلام الراوى

۲- صحيح بخارايى ۵/ ۲۴. صحيح مسلم ۱۵/ ۱۷۳. المستدرك على الصحيحين. ۲/ ۳۳۷ منسد احمد ۱/ ۱۷۷- ۱۷۹- ۱۸۲- ۱۸۴- ۳/ ۳۲ و ما بعد ها الخصائص للنسائى ص ۸۲ و غيرها من المصادر الكثيره جدا بل قيل بتواتر و هو قوى لكثرة رواة و تعدد طرقه و طبقاتة بما يومن منهم التواطوء على الكذب

۳- مجمع الزوائد: ۶/ ۱۶۳، مناقب ابن المغازلى: ص ۴۲۸

ص: ۱۲۲

ثالثها: حادثة تبليغ سورة براءة، وقد مرَّ منَّا ذكرها، وفيها أنَّ الرسول صلى الله عليه و آله قال لأبى بكر:... أُمِرتُ أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى (۱) ۱۹۴ أو منى (۲) ۱۹۵.

رابعها: وفد نصارى نجران، وقصَّة المباهلة المعروفة المشهورة؛ بل المدعى تواترها: حيث إنَّهم بعد أن وفدوا على النبى صلى الله عليه و آله تدارسوا أمر المسيح، فردَّدعواهم وكلَّف الرسول صلى الله عليه و آله بمباهلتهم إن أصرُّوا على ذلك، وطلبوا المباهلة، وفى يوم المباهلة جاء الرسول، وفى إحدى يديه الحسن، وفى الأخرى الحسين، وتتبعه فاطمة، وأمير المؤمنين: بين يديه أو خلفهما، فلمَّا رأوا ذلك خافوا وقالوا: لا نباهلك، ولكن ندفع الجزية، فكتب عليّ ذلك الصلح بينهما.

فياترى: لمَ لم يباهل الرسول العظيم بأصحابه؛ وهم هم- كما تراهم- ألا يوجبون استجابة دعاءه؟

ألم يكن الرسول واثقاً فى أصحابه تمام الثقة؟

ولمَ لم يعترض الصحابة عليه- كما اعترض بعضهم فى موارد

---

۱- تفسير ابن كثير: ۲/ ۵۴۳، الخصائص للنسائى: ۹۱، تفسير الكشاف: ۲/ ۲۴۳، مسند أحمد: ۲/ ۱، ۴/ ۱۶۴، ۱۱/ ۱۵۱، المستدرك للحاكم: ۳/ ۵۱، كنز العمال: ۱/ ۲۴۶، ۶/ ۱۵۳، تاريخ أبى زرعة: ص ۲۹۸، والكثير من المصادر غيرها

۲- راجع كلمات المفسرين حول سبب نزول الآية فستجد المزيد من هذه العبارات من تفسير سورة براءة، وكذا راجع تفسير الحبرى:

ص: ۱۲۳

أخری- علی أخذ الحسنین والزهراء وأمیر المؤمنین علیهم السلام؟

ألم تفکر فی کل هذا أيُّها الکاتب القدیر؟

ولِمَ لم تشر فی کتابک إلی مثل هذه الوفود، وما جری بینها وبین النبی صلی الله علیه و آله؟

ألم یکن خوفاً من أن تُلزَم بالتعرض لمثل هذه المقامات الثابتة لأمیر المؤمنین علیه السلام؟

خامسها: بَعْثُ النبی صلی الله علیه و آله إلی الیمن: فقد بعث بعثین.

أحدهما- وهو أولهما- بعث خالد بن الولید وبقی فیهم ستة أشهر ولم یسلموا.

ثمَّ بعث أمیر المؤمنین علیه السلام إلیهم فلمّا وصلهم وقرأ علیهم کتاب الرسول صلی الله علیه و آله أسلمت همدان جمیعاً فی یوم واحد، فأرسل للنبی بذلک، فسجد صلی الله علیه و آله شکراً للَّه، وکان أن اصطفی له جاریة منهم، فأرسل خالد مع بریدة رسالة للنبی صلی الله علیه و آله یخبره بذلک، فغضب النبی صلی الله علیه و آله لذلک وقال: «لا تقع فی علی فإنَّه منی وأنا منه وهو ولیُّکم بعدی» (۱) .۱۹۶

ألیس فی هذا کفایة لمن ألقی السمع وهو شهید؟

وبعد کل هذه المواقف والمقاطع السریعة مع هذا الکاتب نراه

---

۱- السیرة النبویَّة لابن کثیر: ۴/ ۲۰۳ نقلًا عن السنن الکبری للبیهقی: ۲/ ۳۶۹، الکامل لابن الأثیر: ۲/ ۳۰۰، تاریخ الطبری: ۳/ ۱۳۲

ص: ۱۲۴

یعود ویکتب آیات کریمة أخری من القرآن:

فمنهـا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالـذِّینَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَی الْکُفَارِ رُحَمَاءُ بَیْنَهُم تَرَاهُم رُکَّعَاً سُجَّداً یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِیمَاهُم فِی وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُود ذلِکَ مَثَلُهُم فِی التَوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فِی الإنْجِیل (۱) ۱۹۷.

ومنها: یَاأَیُّهَا الذِّینَ آمَنُوا لَا تُقَدِّموا بَیْنَ یَدَی اللَّهِ وَرَسُولِهِ* یَاأَیُّهَا الذِّینَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَکُم فَوْقَ صَوْت النَّبِی (۲) ۱۹۸.

ومنها: فَلَا وَرَبِّکَ لَا یُؤمِنُون حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیمَا شَجَرَ بَیْنَهُم إلی قوله: وَیُسَلِّمُوا تَسْلِیمَاً (۳) ۱۹۹.

فهـذه الآیات تعطی خلاف ما یرومه هـذا الکاتب، فمدَّعاه هو عدالة کل الصحابة، وشدة إخلاصـهم وإیمانهم بالنبی صلی الله علیه و آله.

ولکنَّ الآیة الأولی هنا- مثلًا- غایة ما تفیده هو تحقق هذا الوصف لجماعة خاصة، وهم خصوص الذین معه، وقد سبق منَّا القول بأنَّه لا یمکن الالتزام بأنَّهم جمیع مَن یکونون معه بأبدانهم، وإلا فالکثیر ممَّن کان معه بأبدانهم کانوا ممَّن نزلت فیهم آیات المنافقین.

---

۱- الفتح: ۲۹

۲- الحجرات: ۱- ۲

۳- النساء: ۶۵

ص: ۱۲۵

بل المراد بالآیـة الـذین معه علی هـذا الأمر الجامع، وهو الـدین الخالص الـذی یدعو له مرسَـلًا به عن ربِّه، علاوة علی أنَّا لا نمنع ثبوت مثل هذه الصفات لبعض الصحابة بل لکثیر منهم، ولکنَّ هذا الکثیر یقابله من لم یکونوا کذلک.

وأمَّا فی الآیـة الثانیـة فهی تنهی عن التقـدم- فی الأـمر و النهی- علی النبی صـلی الله علیه و آله، أو التقـدم فی الأفعـال أو الإقصار عنه صلی الله علیه و آله، ونقول:

ینبغی لکم أیها الصحابة أن تسیروا علی طبق أوامره ونواهیه:

ومَا آتَاکُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُم عَنْهُ فَانتَهُوا (۱) ۲۰۰ دون تقدم علیها أو تثاقل ولا تأخر عن أدائها.

ولکنَّ- أخی القاریء- إلیک مثالًا من واقع حیاة الصحابة مع النبی صلی الله علیه و آله تبین لک کیفیة امتثالهم لمفاد الآیة:

وهو مـا قـدَّمنا ذکره من حـدیث صـلح الحـدیبیَّة، لمَّا جری الصـلح وأراد النبی الإحلاـل من إحرامه حیث صُـدَّ عن دخول البیت فـأمر أصـحابه بالحلق والذبح امتنعوا، وجری بینهم ما جری حتی دخل علی أم سلمة وشکی لها قومه، فأشارت علیه بالخروج والحلق والذبح دون اعتبار بهم ففعل فقاموا وفعلوا کذلک، وقد مرَّ تخریج مصدرها (۲) ۲۰۱.

---

۱- الحشر: ۷

۲- علاوة علی المصادر السابقة؛ راجع تاریخ الطبری ۲/ ۱۲۲ حوادث سنة ۶ ه، البدایة والنهایة: ۴/ ۱۳۶ حوادث سنة ۶ ه

ص: ۱۲۶

وكذا ما ورد عن عائشة لمَّا أمر الناس بالإحلال بالعمرة تعاظم ذلك عندهم (۱) ۲۰۲ وفشت فی ذلك القالة (۲) ۲۰۳، فقالوا: ننطلق إلی منی وذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ مَنِيّاً (۳) ۲۰۴، فبلغ ذلک النبی صلی الله علیه و آله فقام خطيباً فقال: بلغنی أنَّ أقواماً يقولون كذا وكذا، واللَّه لأنا أبرُّ وأتقی للَّه منهم، قالت عائشة: دخل النبی عليَّ وهو غضبان، فقلتُ: من أغضبک يا رسول اللَّه؛ أدخله اللَّه النار.

قال: أو ما شَعَرْتِ أنی أمرتُ الناس بأمر فإذا هم يترددون (۴) ۲۰۵.

وأمَّا فی الآية الثالثة فاستمع لما ذكره المفسرون:

قال بعضهم: لمَّا نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يارسول اللَّه؛ واللَّه لا أكلمک إلا السِّرار أو أخا السِّرار حتی ألقی اللَّه، وعن عمر أنَّه كان يكلم النبی صلی الله علیه و آله كأخی السِّرار لا يسمعه حتی يستفهمه (۵) ۲۰۶.

---

۱- هذا اللفظ لمسلم: ۲/ ۹۰۹

۲- هذا اللفظ للبخاری: كتاب الاشتراک فی الهدی: ۲/ ۸۸۵

۳- صحيح البخاری: كتاب‌التمنی: ۶/ ۲۶۴۱، وقد ذكر فی مقدمة مرآة العقول أنَّ القائل بهذه الكلمة «ننطلق إلی منی وذكر...» هو عمر بن الخطاب وقد أجابه النبی صلی الله علیه و آله بقوله: «إنَّک لن تؤمن بها حتی تموت..» والشاهد علی هذاأنَّه لمَّا صار خليفة نهی المسلمين عن‌أمور ومنها متعتا الحج والنساء؛ ۱/ ۲۲۱

۴- صحيح مسلم: ۲/ ۸۷۹

۵- تفسير الكشاف: ۴/ ۳۵۲ أما حديث أبی بكر فقد ذكره الواحدی عن عطاء عن ابن عباس، وأما حديث عمر فقد خرجه البخاری من حديث أبی الزبير

ص: ۱۲۷

ولکن فلنستمع لأصل القصة لنعرف منها لِمَ قالا ذلک:

فقد أخرج فی الدرِّ المنثور عن البخاری وابن المنذر والطبرانی عن ابن أبی ملیکة قال: کاد الخیِّران أن یهلکا أبو بکر وعمر: رفعا أصواتهما عند النبی صلی الله علیه و آله حین قدم علیه رکب بنی تمیم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس (۱) ۲۰۷ وأشار الآخر برجل آخر (۲) ۲۰۸.

فقال أبو بکر لعمر: ما أردتَ إلا خلافی!.

قال: ما أردتُ خلافک.

فارتفعت أصواتهما فی ذلک، فأنزل اللَّه: یَاأَیُّهَا الـذِّینَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَکُم... قال ابن الزبیر: فما کان عمر یُسمع رسول اللَّه بعد هذه الآیة حتی یستفهمه» (۳) ۲۰۹.

وحینما نأتی بمثل هذه الشواهد لیس غرضنا خصوص الشخص المعیَّن، بل بما أنَّه أحد الصحابة، فتنتقض القضیة الکلیَّة التی یدَّعیها الکاتب من الحکم بعدالة کل الصحابة، وعدم جواز نقدهم.

وإن کان یغلب فی الظن أنَّه لا غرض له فی کل الصحابة، ولکنَّه الطریق الوحید لتعدیل جماعة السقیفة علی أقل

---

۱- وفی روایة أنَّ المشیر به هو عمر بن الخطاب

۲- وهو أبو بکر فقد أشار بالقعقاع بن معبد بن زرارة

۳- الدر المنثور: ۶/ ۸۴، صحیح البخاری: ۳/ ۱۹۰- ۱۹۱ تفسیر الحجرات، وفی طبعة أخری ۴/ ۱۵۸۷- ۱۸۳۳، سنن النسائی: ۸/ ۲۲۶

ص: ۱۲۸

التقديرات، وصبغهم بهالة قدسيَّة تمنع من التفوُّه عليهم ولو ببنت شفة.

## الموقف السادس: وهو ما يتعلّق بغزوة حنين:

ولعل الكاتب لم يذكره لوضوح الفضيحة فيه، إذ نزل فيه قرآن يتلى، فكيف يوارى سوأة مَن يمسَّهم مِن الصحابة عن ذلك، فليس من طريقة إلا إغفال الذِكْرِ لعلَّ القارىء يغفل أيضاً عن ذلك.

قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَينٍ إذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَل اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودَاً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّب الذِّين كَفَرُوا وَذلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِين التوبة: ۲۵– ۲۶.

فقد كان جيش الرسول صلى الله عليه و آله لحرب قبيلة هوازن اثنا عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف الذين اشتركوا فى فتح مكَّة، وألفان ممَّن أسلم فى مكَّة، وقد عجبوا، بل اتكلوا على كثرتهم، فقال بعضهم:

«لا نُؤتَى من قِلَّة» فكره ذلك رسول اللَّه منهم، وقد اختبأت هوازن فى الوادى، ثمَّ لما خرجوا على المسلمين انهزم المسلمون و وَلَّوْا الدبر، حتى لم يبقَ مع الرسول إلا عشرة وقيل تسعة: على بن أبىطالب والعباس عم النبى– وهو المنادى فى الفارِّين: ياأهل

ص: ۱۲۹

بيعة الشجرة.. يا أهل سورة البقرة..- وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة أخوهم، وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب والفضل بن العباس وعبداللَّه بن الزبير، وقيل أيمن بن أم أيمن (۱) ۲۱۰.

وعن بعض مصادر الشيعة: «إنَّ الناس فروا جميعاً يوم حنين عن النبى صلى الله عليه و آله إلا سبعة: أبو سفيان وربيعة ونوفل أبناء الحارث، والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين وأخوه عقيل والنبى على بغلته الدلدل...» (۲) ۲۱۱.

فهل الفارُّون والمُوَلُّون الدُّبُرَ الأصحابُ أم الأغيار؟

وهل أنَّ فعلهم مساوٍ لمن ثبت مع النبى؛ ألا بربك قل لى!!؟

وفى هذه الغزوة وبعد أن انتصر على هوازن حاصر الطائف، وأمَّر علياً على كسر الأصنام، وبعد أن أدَّى مهمَّته رجع فكبَّر النبى صلى الله عليه و آله، وناجى علياً طويلًا، يقول جابر: أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل اللَّه انتجاه» (۳) ۲۱۲.

---

۱- تاريخ اليعقوبى: ۲/ ۶۲، أنساب الأشراف: ۱/ ۳۶۵، الاستيعاب: ۱/ ۸۱۳، تفسير الفخر الرازى: ۱۶/ ۲۲، تاريخ الطبرى: ۲/ ۱۶۷ حوادث سنة ۸ ه

۲- الأمالى للشيخ الطوسى؛ المجلس رقم ۲۲

۳- سنن الترمذى باب مناقب على، أسد الغابة لابن الأثير: ۴/ ۲۷، المعجم الكبير للطبرانى: ۲/ ۱۸۶، بألفاظ متقاربة وبعضها عن أبى بكر لا عمر، كما أنَّ بعضها عنهما جميعاً

ص: ۱۳۰

فقـد علم القاریء المحترم... الآن؛ لِمَ انحرف قلم هـذا الکاتب عن ذکر بعض الغزوات أو بعض الوفود القادمهٔ علی النبی، فلیس ذلک إلا ـ محاولـهٔ لإطفاء نور اللَّه عزَّ وجلَ یُریـدُونَ لِیُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ کَرِهَ الکَافِرُون (۱) ۲۱۳، وتستراً علی فضائل علیّ أمیرالمؤمنین علیه السلام والتی ملأت- مع إخفاء أولیائه خوفاً وإخفاء أعداءه حسداً- الخافقین.

## خاتمهٔ:

والذی نخرج به من هذه الدراسهٔ عدَّهٔ أمور:

الأوّل: إنَّ أهل السنَّهٔ ینقسمون فی هذا الزمان، من حیث اعتبار الروایات إلی قسمین:

قسم لا یعتبر من الروایات النبویَّهٔ- عملًا وإن لم یصرحوا به- إلا صحیحی البخاری ومسلم، وهؤلاء هم ما یسمون فی هذا الزمان بالفرقهٔ الوهابیَّهٔ والسلفیَّهٔ، فلا یرون المناقشهٔ فی أسانید روایاتها.

وقسم یعتبرون بالکثیر من المصادر الحدیثیَّهٔ و التاریخیَّهٔ قوَّهٔ أو فعلًا (۲) ۲۱۴، علاوهٔ علی الصحیحین، لو صحَّ سندها.

---

۱- الصف: ۸

۲- المراد بالقوهٔ: إمکان تصحیح الروایات الواردهٔ فی الکتب الحدیثیَّهٔ، والمراد ب فعلًا أنَّها مصححهٔ عندهم بالفعل

ص: ۱۳۱

فأمَّا القسم الأول: فهم يرون أنَّ ما كان موجوداً فى هذين الصحيحين لا يُحتَاج إلى البحث فى سنده، بل هو معتبر مطلقاً.

وأمَّا القسم الثانى: فهم يرون عدم الفرق بين الصحيحين وغيرهما من الكتب، بل كل كتاب وردت فيه روايات منسوبة للنبى وصحَّ سندها فهى ممَّا يجب العمل بها، وكل رواية ثبت ضعف سندها أو لم يثبت صحته، فهى مطرحة ولا يصح العمل بها.

ونحن- بما أنَّنا لحظنا كلا القسمين، وأردنا أن يكون الرد لهذا الكاتب شاملًا لأكبر قدر ممكن من القُرَّاء- حاولنا الجمع بين المبنيين، فنقلنا الروايات من الصحيحين ومن الكتب الأخرى، علماً بأنَّ المبنى الأول واضح الفساد جداً، ولم تصر إليه إلا شرذمة من المتأخرين المدَّعين لاتباع السلف، وأتباع ابن تيميَّة وابن حزم وابن القيم، ومن سار على خطّهم، ونشر أفكارهم ممَّن يدين بالدعوة الوهابيَّة فى هذا الزمان.

فالذى نتمناه أن لا يكون هذا الكاتب من أتباعها ودعاتها، فإنَّ من ينتمى إليها، فمذهبهم عدم قبول نظر أى طرف آخر، بل يترقى لتكفير كل من يخالفهم فى الرأى فمنطقهم: أنت معنا وإلا

ص: ۱۳۲

فأنت كافر (۱) ۲۱۵.

ولذا؛ فيمكن لنا القول: إنَّه فى هذا الزمان ليس من موضع لمن يعيش مثل هذه العقليَّة الضعيفة فى وسط المجتمعات المسلمة المتوائمة المحبَّة لكل من نطق بالشهادتين وأحبَّ أهل البيت عليهم السلام وعمل بما أمر به الرسول صلى الله عليه و آله من طاعتهم حيث يأمن الناس من يده ولسانه.

الثانى: ليكن من المعلوم لهذا الشيخ الكاتب للرسالة ولغيره:

أنَّ الدعوة لنقد بعض الصحابة، أو وضع أعمالهم على مائدة التشريح ليس فيه منقصة لكل الصحابة، بل حتى بالنسبة للصحابى الذى تحقق صدور الخطأ منه ثمَّ تاب عنه (۲) ۲۱۶.

فإنَّا لا نتحسَّس من أحد لشخصه وذاته مستقلةً عن أفعاله والمحيط الذى كان ينطلق منه فى تصرفاته، بل إنَّ النقد أو الدراسة الفاحصة لحياة أحدهم ليست إلا لما صدر منه من أفعال مخالفة

---

۱- والشواهد على هذا كثيرة؛ فهى تبدأ من تكفير شيخهم محمد بن عبد الوهاب لكل من خالفه فى الرأى حتى أخيه الشيخ سليمان، وانتهاءاً بالشيخ الألبانى الذى قد أيَّدوه لمدة من الزمان، ثمَّ كفَّروه، وذلك لمجرد أن ناقش فى أسانيد بعض الروايات، وكذا سمعنا أنَّهم قد كفَّروا الشيخ حسن فرحان المالكى لمجرد أن قام بمناقشة بعض القضايا العقديَّة والتاريخيَّة المسلَّمة عندهم، وهكذا منصور النقيدان حديثاً، وغيرهم كثير

۲- كما فى الجُلَاس بن سويد فإنَّه أخطأ، وقال كلمة الكفر مشتبهاً، فنزل القرآن مُلَوِّماً له فتاب وحسن إسلامه

ص: ۱۳۳

لإرادهٔ اللَّه، وللزوم الطاعهٔ للنبی ولأولیاء اللَّه المأمورین بطاعتهم فی الآیهٔ القرآنیَّهٔ: یَاأَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُم... (۱) ۲۱۷ وقوله تعالی: ومَا آتَاکُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُم عَنْهُ فَانتَهُوا (۲) ۲۱۸.

وکل ذلک لأجل الحفاظ علی من ننقل عنه الأحادیث النبویَّهٔ.

وهل فی تطلبنا الحفاظ علی ذلک غضاضهٔ؟.

الثالث: لم یشر هذا الکاتب لما صدر عن أمیر المؤمنین وأهل بیته علیهم السلام من کلمات فی مدح الصحابهٔ وصحبتهم للرسول صلی الله علیه و آله، سواء فی نهج البلاغهٔ أو فی کلمات أخری، وکذا ماکان فی الصحیفهٔ السجادیَّهٔ و الروایات المتناثرهٔ هنا وهناک، وهی معتقدنا فی الصحابهٔ الطیبین الذین أحسنوا الصحبهٔ رضوان اللَّه علیهم.

و ما مرَّ حول ما ورد من آیات تشیر لمدح الصحابهٔ، فقد قلنا هناک بأنَّ مدحها مدح جمعی، لا أنَّه مدح للجمیع واحداً واحداً، ومثل هذا المدح لا نمنع منه بل نُقِرُّه.

کیف؟ ومنهم مَنْ هو مِنْ خَوَاصِّ النبی وأمیر المؤمنین علیهم السلام، وقد أبلی مع الرسول صلی الله علیه و آله بلاءاً حسناً، ومات علی ما مات علیه

---

۱- النساء: ۵۹

۲- الحشر: ۷

ص: ۱۳۴

رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، کسلمان المحمدی، والمقداد بن عمرو، وعمَّار بن یاسر، وأبی ذر الغفاری، وأمثال خبَّاب بن الأرت، وعثمان بن حنیف وأخیه سهل بن حنیف حبیب رسول اللَّه، والمفدی بنفسه فی المغازی کلها نفس رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وأبو دجانهٔ الأنصاری، والمرقال هاشم بن عتبهٔ، وخالد بن سعید بن أبی عامر خامس من أسلم، وحذیفهٔ بن الیمان، وخزیمهٔ بن ثابت، وجابر بن عبداللَّه الأنصاری، وقیس بن سعد بن عبادهٔ، وأبی أیوب الأنصاری، ومالک بن الأشتر النخعی، والبراء بن عازب، وعبادهٔ بن الصامت، ومالک بن نویرهٔ.

و الکثیر من الصحابهٔ الذین وفوا بما عاهدوا اللَّه علیه، وماتوا علی ذلک، وما بدَّلوا بعد وفاته فضلًا عن حال حیاته.

الرابع: لقد لاحظنا کثیراً- من هذا الکاتب ومن غیره من الکتَّاب ممَّن اتخذ اسم السنَّهٔ شعاراً ودثاراً- أنَّهم یتشبثون من الآیات بما یوافق هواهم وآراءهم، ویقومون باستبعاد کل آیهٍ فیها إشارهٔ أو تلمیح بفضل علی علیه السلام وأهل بیته علیهم السلام، وکأنَّهم قد وقفوا أنفسهم علی استمرار عملیَّهٔ التعتیم علی فضائلهم ومناقبهم، وما ورد فی حقِّهم من قِبَلِ النبی صلی الله علیه و آله، وهو ذلک العمل الشنیع الذی قام به معاویهٔ، وجرت سُنَّهٔ الدولهٔ الأمویَّهٔ علیه، وکأنَّ هذه الأحادیث لیست صادرهٔ عن النبی صلی الله علیه و آله، أو أنَّها لا تمُتُّ إلیهم بصلهٔ علی الإطلاق، وأنَّهم لیسوا أهل بیت نبیهم

ص: ۱۳۵

صلوات اللّه عليهم أجمعين!!.

بل يحاول هـذا الكاتب- مثلًا- أن يعتمـد على إحياء الدعوة القديمة من مقولة: «حسبنا كتاب اللّه»، فهو يرفع شعارها هنا منادياً بترك كل الروايات والكتب المتعلقة بتفسير الآيات، والاكتفاء بالقرآن.

ويا ترى: هل القرآن- على مرَّ هذه القرون الأربعة عشر- قد حلَّ كل خلافات المسلمين؟ والتأمت كل كُلُومِهم؟ وسُدَّت كُلُّ ثغراتهم؟

بل يترقى إلى القول بأنَّ كل تلك الروايات محض أساطير تاريخيَّة (۱) ۲۱۹.

وهو أمر غريب جداً من مثله، وهبْ أنَّها أساطير فهل مرويات الصحاح أساطير أيضاً؟

سلَّمنا ذلك فى غير الصحيحين، ولكن ما تقول فى الصحيحين؟ فهل رواياتهم أساطير؟ أو تقول: قد دُسَّت فيهما؟

ومَن الذى دسَّها، وقد طُبِعَت فى مطابعكم؟

والغرض من كـل هـذا ليس بيـان اعتبارنا لمثل هـذه الكتب، وإنَّما لأجل إلزامهم بما رووه، وفيما لو كانت الروايات التى ننقلها تتحمل كلمة كفر أو وصفٍ مشينٍ لبعض الصحابة، فهو ليس

---

۱- صحبة رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ص ۳۴

ص: ۱۳۶

منّا، بل من رواياتهم الموجودة فى كتبهم، وناقل كلمة الكفر ليس بكافر.

فالعجب أنَّهم يُكَفِّرُون الناقل فى حين أنَّهم يلتزمون بعدالة الراوى والمؤلف فضلًا عن إيمانه، فما لكم كيف تحكمون؟

ولا يقف هذا الشيخ وأمثاله من الكتّاب عند هذا الحد، بل تراهم يعتبرون بالرجل ويوثقونه ويروون عنه مادام لم يروِ فضيلةً لأهل البيت عليهم السلام، وبمجرد روايته لفضيلة فى أمير المؤمنين عليه السلام يُضَعَّف، ويرمى بالمخازى وما يتنزه اللسان عن ذكره.

وأمّا من يروى طعناً فى على- وهو من وضعه أو وضع مَنْ سَبَقَه فى الروايـة- فهو مُقَدَّم عندهم، وممَّن يُسْكَن إليه فى الروايه، وممَّن ثبتت وثاقته وعدالته.

فقد رووا عن عمران بن حطّان المادح فى شعره لعبدالرحمن ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، روى عنه البخارى ومسلم، وأخرجوا عن المغيرة بن مُقَسِّم كما وثَّقه الذهبى، مع أنَّه كان يحمل على عليٍ (۱) ۲۲۰.

وكذا أخرجوا عن قيس بن أبى حازم مع أنَّه يحمل على عليٍ (۲) ۲۲۱.

---

۱- سير أعلام النبلاء: ۶/ ۱۲

۲- المصدر نفسه: ۴/ ۱۹۹

ص: ۱۳۷

وأخرج مسلم والأربعة عنالفأفأ فیحین أنَّ الذهبی نصَّ علی کونه ناصبیاً (۱) ۲۲۲.

کما أخرجوا عن حریز شیخ البخاری مع أنَّه کان یلعن علیاً علیه السلام فی کل یوم سبعین مرَّة؛ لعنه اللَّه وأخزاه.

فیا عجباً! کیف یکون الناصبی عادلًا وراویاً للسنَّة عن النبی صلی الله علیه و آله.

والحبل فی هذا المسار طویل جرَّار لا نهایة له عندهم.

الخامس: لیس من الإنصاف والعدل- أیها الکاتب- أن تأمر بالتأمل فی آیات القرآن، فی حین أنَّک تمنع لحاظ الروایات المفسِّرة لتلک الآیات، وهل المفسِّر والمبیِّن لما أنزل إلا النبی صلی الله علیه و آله؟

وکیف نعرف تفسیر القرآن إذا لم یبینه لنا الرسول ومَن عیَّنهم اللَّه عزَّ وجلَّ ورسوله علیهم السلام لحفظ القرآن وبیانه وتوضیحه للناس؟

فإنَّ معرفة ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبیَّنه، و عامَّه من خاصِّه، ومطلقه من مقیده، ومکیّه من مدنیّه؛ کل تلک الأمور مرهونة بمعرفة النبی وأهل بیته علیهم السلام حقَّ المعرفة.

وأمَّا مع الانحراف عنهم، وعدم العمل بقولهم، وعدم الاهتداء

---

۱- المصدر نفسه: ۵/ ۳۷۴

ص: ۱۳۸

بهديهم، فهو عين الضلال المذموم فى القرآن، وفى الروايات، ولم يكن ذلك الفعل من المتقدمين إلا حسداً وبغضاً لهم عليهم السلام بما أعطاهم اللَّه من فضله.

وقد مرَّ علينا سابقاً ما صنع النبى مع أمير المؤمنين من مناجاته له الطويلة، فغضب بعض القوم وقالوا له: ما لك أكثرتَ مناجاة ابن عمك دوننا؟ فقال: ما أنا ناجيته ولكنَّ اللَّه انتجاه.

كما أنَّا نقرأ فى التاريخ صورة واضحة من الحسد؛ يحكيها ابن عباس من حديثه مع عمر بن الخطاب أيام خلافته، فقد قال عمر لابن عباس: إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوَّة والخلافة فتذهبون فى السماء بُذَّخاً وشمَّخاً، لعلَّكم تقولون: إنَّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم؟ كلا؛ لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممَّا فعل، ولولا رأى أبى بكر فىَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنَّأكم مع قومكم، إنَّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جَازِره (۱) ۲۲۳.

وعلى هذا، فما ذكره هذا الكاتب فى ختام رسالته من إمكان اجتماع حبّ النبى والآل مع حبّ الصحابة فى قلب واحد، فهو ممنوع من جهة، وجائز من جهة أخرى:

أمَّا جهة منعه فهى منع الإطلاق فيه، فإنَّ حب النبى والآل عليهم السلام والصحب الكرام لخصوص الذين صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه، و وفوا بذلك العهد، وماتوا على ذلك، هذا من الأمر المرغوب فى

---

۱- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۱/ ۱۹۰

ص: ۱۳۹

تحصيله من المؤمن، ولكن ليس كل الصحابة ممّن يجب حبُّهم كحبّ النبى والآل، فإنَّ منهم من بدَّل وغيَّر وحرَّف، فهل نحبُّهم كما نحبّ النبى والآل عليهم السلام؟

هذا ما لا ترضاه لنفسك فكيف ترتضيه للناس؟

وأمَّا جهة الجواز؛ فهى حبّ الصحابة الذين لم يؤذوا النبى بل ناصروه، ولم يفرّوا، ولم يخذلوه أمام المشركين والكفار، وماتوا على ذلك، فهؤلاء هم الصحابة بحقٍّ، فليس من الممتنع أن يجتمع حبُّهم مع حب النبى والآل الكرام.

فنحن نحب اللّه والنبى وأهل البيت والصحابة كسلمان والمقداد وأبى ذرٍّ وعمَّار وخبَّاب والبراء والمرقال ومالك بن نويرة و.. و..، وهم من الصحابة، وإن كان حبُّنا لأهل البيت عليهم السلام لا يقاس به حب من عداهم من الخلق أجمعين (۱) ۲۲۴.

وعلى كل حال، فلم يَحِد هذا الكاتب عن سيرة سلفه، بل مشى على طريقتهم، وسار على هديهم، من الانحراف عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، وليس يغرُّنا أو يُغَرِّر بنا أن كتب فى غلاف كتابه كلمة لأمير المؤمنين، فإنَّها كلمة حق أراد بها- هذا الكاتب- باطلًا.

---

۱- فأصل الحب للنبى والآل والصحابة الذين وصفناهم بالصفات الحسنة مرغوب فيه ومطلوب، وأمَّا التسوية بينهم فى الحب والولاء والطاعة فهو أمر آخر

ص: ۱۴۰

وكـذا ليس ممَّا يوجب رفع عـذره أن يقول بأنَّه يحبُّ علياً، فإنَّ للحب علامات وإشارات، لا نجد شـيئاً منها على وجه كتابه، فضـلًا عن تصرفاته وسائر أحواله، بل المُطَّلِع على حاله يرى العكس من ذلك، أعاذنا اللَّه من سوء المنقلب، واللَّه العاصم من كل سوء.

السـادس: من الواجب علينـا التنبيه على أمرٍ وهو: ضـرورة توجه الأـخوة المؤمنين والأـخوات المؤمنـات إلى من يحـاول- فی مثل هـذه الأيام- أن يمزج السُّمَّ بالعسل، فيخلط كلامه السـیّء المُبَطَّن بكلام ظاهِرُهُ حسنٌ، كمن يمزج دعواه الباطلة برهاناً ووجداناً بكلمة لأمير المؤمنين تحتمـل أكثر من تفسـير وأكثر من معنى، حتى لَيَظُنُّ القـارىء له أنَّه كلاـم كلُّه حق ويراد به الحق، فيسـير وراء الكلمات دون علم، بـل بغفلـة عن حقيقـة الأـمر، جاهلًا إلامَ توصـله؟ وفی أی نَفَقٍ مظلم تـدخله؟ فتتوارد عليه الشُبَه من هنا وهناك فی عقيـدته وفی مبادئه الحقَّة، التی كرَّس أهل البيت عليهم السلام حياتهم كلها لتأسيسها وبيانها لشيعتهم أيدهم اللَّه.

ثمَّ يبدأ فی طرح هذه الشُبَه فی كل نادٍ يرتاده، وكأنَّها فاكهة المجلس، فيسری سمُّهَا إلى آخرين غيره دون أن يلقوا جواباً لها، وذلك لأنَّهم لا يطرحونها على أهل العلم ممَّن تخصصوا فی هذا العلم.

فلابدَّ للمؤمنين و المؤمنات قبل أخذ الكتاب- أیّ كتاب كان-

ص: ۱۴۱

أن یسألوا أهل العلم عن محتواه وآثاره، وبعد قراءته ینبغی علی القاریء له أن یعرض ما فهمه، وما انتقش فی ذهنه علی المختصین فی العقیدهٔ، قبل أن یلوکه بلسانه، فی کل مجلس ومنتدی.

وممَّا یؤسف له ما وقع من الکثیر من الناس ممَّن وردوا علی هـذه الوسائل الإعلامیَّهٔ الحدیثهٔ، مع التفاتهم إلی أنَّها تحمل إعلاماً موجَّهَاً مشوهـاً من قبـل أعـداء اللَّه ورسوله، یهـدف فی کثیر من أطروحـاته إلی بثِّ السـموم فی عقول الشـباب، کـل ذلـک بعنـاوین خـدَّاعهٔ کالحریَّهٔ فی التعبیر، وحریَّهٔ الرأی، والبحث عن الحقیقـهٔ، ومثل هـذه العناوین البرَّاقـهٔ، والجذَّابهٔ، التی أخذت بمجامع قلوب الکثیر ممَّن تاه وانجرف وراء تلک التیَّارات ولم یرجع، فخسر هو؛ وخسرت ساحهٔ الإیمان بفقده خسارهً لا تعوض.

السابع: خلاصهٔ نظر الشیعهٔ الإمامیَّهٔ فی الصحابهٔ هو:

أنَّهم لم یفرضوا علی أنفسهم قدسیَّهٔ الصحابهٔ ککل، بحیث یکونون فی عزلهٔ عن النقد والتجریح بعد التمحیص.

بل نظروا إلیهم من حیث أعمالهم وسلوکهم، مع مقایسهٔ تلک الأمور بالمقاییس والموازین الشـرعیَّهٔ والعقلیَّهٔ التی وصـلت إلیهم، وقام البرهان علیها.

فمن ثبت من الصـحابهٔ أنَّه قد حفظ العهد ولزم الحق واجتهد فی اتباع الرسول والسیر علی نهجه فی عقیدته وسلوکه، ولم یزغ عن ربّه، فقد استحق التعظیم والتبجیل، بل الموالاهٔ والتقدیس، إذ

ص: ۱۴۲

بهم قام عمود الدين، وقد قال تعالى: إنَّ الذِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّهْ التى كُنْتُم تُوعَدُون* (۱) ۲۲۵

وأمَّا من نكث العهد، وفارق الحق، وغيَّر، وبدَّل، وانقلب على عقبه، فقد استحقَّ العذاب والوبال والبراءة منه واللعنة عليه، كما قال تعالى: فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَيُؤتِيهِ أَجْرَاً عَظِيمَاً (۲) ۲۲۶. (۳) ۲۲۷

ال تعالى: والذِّينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّار (۴) ۲۲۸.

## أقول:

هـذا القول خاتماً به مقالى هـذا، راجياً أن يصل إلى الكاتب وغيره من القُرَّاء، فيقرأُوه قراءةَ المتأمل المتأنى، وليكن رائدهم طلب الحق أنَّى كان، دون حميَّهْ أو هوى أو تقليد أعمى أو عصبيَّهْ جاهليَّهْ، بل الحق أحق أن يتبع.

والحمد للَّهربّ العالمين وصلّى اللَّه على محمّد وآله

الطيّبين الطاهرين.

(۵) ۲۲۹

---

۱- فصلت: ۳۰

۲- الفتح: ۱۰

۳- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبهْ الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ۱جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ۱، ۱۴۲۵ ه. ق..

۴- الرعد: ۲۵

۵- الشيخ محمدعلى النجفى، صحبهْ الرسول صلى الله عليه و آله بين المنقول والمعقول، ۱جلد، نشر مشعر - تهران، چاپ: ۱، ۱۴۲۵ ه. ق..

# تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشّـيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.


مرکز القائمیه اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریه
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩